فدوى فؤاد عباس

أساطير من فلسطين



أساطير

من فلسطين

دارة الكرز

دارة الكرز
للنشـر والتـوزيع

دارة الكرز
للنشـر والتـوزيع

١٧ ش منشية البكري – مصر الجديدة

Darat al-Karaz,
17 Manshiyyat Al-Bakri St, Cairo

تليفون: ٠٢/٢٤٥٥١٣٠٤

موبايل: ٠١٤٥٨٥٠٧١١

Email: darkaraz@yahoo.com

الكتاب: أساطير من فلسطين

تأليـف: فدوى فؤاد عباس

الناشر: دارة الكرز

سنة الطباعة: ٢٠١٠

بلد الطباعة: القاهرة، مصر

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٢٢٤٧/ ٢٠١٠

الترقيم الدولي: 978- 977-462-053-9

لوحة الغلاف للفنان اللبناني **رفيق شرف**

فدوى فؤاد عباس

أساطير

من فلسطين



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أبى الحبيب العلامة المضيئة في تاريخ القضية الفلسطينية

إلى

فـؤاد عباس

الباحث الدؤوب الموسوعى الذي لم يفارق البحث إلى آخر أيامه

«من المحبرة إلى المقبرة».

كان أبى - رحمه الله - الأب الحانى والأستاذ الرشيد

وأعظم ما تعلمته منه السمو

هكذا كان أبى محبا للعلم ومحبا للسمو.

المقدمة

..وأحيي انتفاضة شعبنا الفلسطيني.

رحم الله الأستاذ الدكتور عبدالحميد يونس رائد الدراسات الفولكلورية الجادة في العالم العربي الذي رفض منذ البداية أن يكون تعبير الأسطورة مستخدما فقط لكل شيء يناقض الواقع، مما ذهب إليه المشركون قبل ظهور الأديان السماوية وإنما قبل أيضا منذ البداية مناقشة ما تحمل الأسطورة من مجازات لمعاني وقيم ومثل وما تتضمنه من تشخيص لمبادئ أخلاقية ونواميس طبيعية.

من هنا وأمام أكوام حاشدة يهيمن عليها زخم التراث العربي العام والعربي الفلسطيني كان لابد لنا أن ننتقي ما يصلح لأن يكون في نظرنا مجموعة من أساطير فلسطين ولا أقول أن كل أساطير فلسطين قد جمعناها في هذا الكتاب، ولكي تجرى عملية الانتقاء وفق خط مدروس كان لابد من الرجوع إلى فلسطين ذاتها في عصور ما قبل التاريخ وفي عصور التاريخ.

وكان أمامنا ان نسلط الأضواء على ما يمكن إستكشافه من الخرافات البحتة myths وليدة التفكير الخيالي في نشأة الكون، والظواهر الطبيعية والمعتقدات والطقوس الدينية وعلى ما يمكن إستقراؤه من القصص البطولية بما يمكن أن تتضمن من المغامرات الخارقة وما يمكن إدراجه من الحكايات الشعبية matchen التي غالبا ما ترمي إلى بيان حقيقة عامة أو تأكيدها في الأذهان وما يمكن إضافته من حكايات الجان حيث يرى عالم الفولكلور (الكسندر هجرتي كراب) أنها منحدرة من الأساطير غالبا.

كما كان لابد لنا في عملية الانتقاء أن نمضي قدما في استقصاء الأساطير الدينية المتوارثة التي عرفتها الشعوب ومنها ومن بينها شعبنا العربي الفلسطيني كقصة الطوفان لأن بعض علماء العالم يرون الأساطير من منظار تفسير ديني.

وفى جانب آخر كان لابد لنا من مطاوعة ما ذهب إليه علماء آخرون من أصحاب التفسير التاريخي للأساطير وكذلك النظر في ما ذهب إليه أصحاب نظرية تعليل الظواهر الطبيعية في الكون على أساس عجز الإنسان البدائي الأول عن تفسير الكثير من الظواهر الطبيعية هذا بالإضافة إلى ما ذهب إليه أصحاب نظرية التفسير الرمزي للأساطير.

وعلى كل الوجوه فإن تراثنا واحترامنا لهذا التراث قادنا هو نفسه إلى التوحيد وأطلق من حناجرنا المؤمنة: الله أكبر وإن تراثنا أيضا هو الذي قادنا إلى تأكيد حقيقة راسخة رسوخ جبل الكرمل وجبل الزيتون وجبل جرزيم وجبل عيبال وجبل الخليل وهي أن كل قصة من قصص استشهاد أبطالنا أسطورة أسميناها أسطورة الشهيد ورحم الله شيخا من شيوخنا العرب – أصحاب كتب التراث – لقد وجد الأسطورة في الاستشهاد حين تسائل لماذا سمى الشهيد شهيدا وأجاب هو نفسه عن تساؤله: لأن عليه شاهدا بكونه شهيدا وهو الدم ولأن الله يشهد له بالجنة ولأن ملائكة الرحمن يشهدونه عند الاستشهاد وشهيد الدنيا والآخرة هو من مات في قتال العدو الكافر مقبلا غير مدبر.

رحم الله شهدائنا الأبرار رحمة واسعة ووفقنا إلى ما فيه الخير.

فدوى فؤاد عباس

الأســـاطير

أسطورة الخلق الكنعانية

في البدء كانت ريح عنيفة ثائرة (١) وفوضى مظلمة ظلت قرونا لا حصر لها. ثم اتحدت الريح والفوضى فنشأت عن ذلك كتلة مائية اتخذت شكل البيضة الضخمة ثم انشقت البيضة فظهرت السماء والأرض والكواكب وصنوف الحيوان. انبعثت من البيضة النفس الخالق التي أخرجت ذرية كنعان. على رأس هذه الذرية الإنسانان الأولان (يون) – الدهر او الزمن – و(بروتوحون) – المولودة الأولى – ومنها تكاثرت الذرية ضخمة الأجسام طوالات قاماتهم. وسميت بعض المواقع بأسماء أبطال منهم مثل (قاسيون) و(لبنان) و(أنتلبنان) و(براتى). أحد هؤلاء الأبطال أنجب (عليون) الملقب باله السموات. (عليون) تزوج بالآلهة الحسناء (بيروت) أو (عشتاروت) فأنجبا مولودين هما: اله السماء وأخته آلهة الأرض.

[سبتينو موسكاتى، الحضارات السامية القديمة، ص ١٣١]

(١) الأسطورة في الأصل مروية عن (فيلو الجبلى) في القرن الأول الميلادي. قال: [انتحل اليونان الأخبار والحكايات الفينيقية الكنعانية ولكنهم أضافوا على ما أخذوه من الحكايات الخرافية إضافات بما أسعفتهم به مخيلتهم، ومنهم الشاعر (هسيود) وبقية الشعراء الجوالين الذين ملئوا العالم بخوارقهم وحكاياتهم، منهم الذين أخذوا عن الفينيقيين علومهم ومعارفهم عن الآلهة وحروب الجبابرة وغير ذلك] (فيلو الجبلى) من جبيل بلبنان شخصية أسطورية مثل (هوميروس) عند اليونان (فيلو استعار أساطيره من كاتب فينيقى سابق عليه بحوالى أربعة قرون هو (سنكس يتن). وأسطورة الخلق الكنعانية التي نوردها هنا هي قصة الخليقة التي بدأ بها (سنكس يتن) كتاباته. وعلينا أن نذكر أن التوراة تسمى المنطقة المكونة من فلسطين وفينيقيا كنعان، وتسمى سكانها الكنعانيين، ومن ثم تعارف العلماء على اطلاق اسم الكنعانيين على أسلاف العبرانيين.

وبتعبير أوضح فإن الفينيقيين هم من الكنعانيين، وأن كلمة الكنعانيين أعم من كلمة الفينيقيين. [المصدر نفسه]

الإنسان الأول (١)

في رأى الانسان البدائى أن الجبال والأنهار والصخور والأشجار، والنجوم والشمس والقمر، والسماء كلها أشياء مقدسة، لأنها العلامات الخارجية المرئية للنفوس الباطنية الخفية.

[ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد ١، ج ١، ص ١٠١]

(١) كشفت (دوروثى جارود) عن وجود مصنوعات حجرية ترقى إلى الزمان المطير الأول الذي يعود إلى مليون سنة أو أكثر، وذلك في (مغارة الطابون) – مغارة التنور – في جبل الكرمل – وأن الادوات الحجرية المكتشفة في هذا الموقع سابقة لأمثالها في أوروبا وأفريقيا، وأن عددها يتجاوز الأربعين ألفا.

[أنطوان نمنم، المواقع الأثرية بفلسطين في فترة ما قبل التاريخ، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، المجلد الثانى، ص ١١]

القمر في تصور الإنسان الأول

صورت أساطير الإنسان الأول القمر رجلا شجاعا أغوى النساء، وسبب لهن الحيض مرة كلما ظهر، وقد كان القمر إلها محببا للنساء. عبدنه لأنه حاميهن بين الآلهة. وكذلك اتخذ القمر الشاحب مقياسا للزمن، فهو في ظنهم يهيمن على الجو، وينزل من السماء المطر، وحتى الضفادع تضرع للقمر بالدعاء لينزل المطر.(١)

[ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد ١، ج ١، ص ١٠٢].

(١) حضارات العصر الحجرى في فلسطين هي:

- الحضارة الكيبارية نسبة إلى موقع كيبارة في جبل الكرمل امتدت من القرن

الثالث عشر إلى القرن العاشر ق. م وفيها ظهرت نصيلات صخرية دقيقة الحجم.

• الحضارة النطوفية نسبة إلى وادى نطوف بالقرب من القدس من القرن العاشر إلى القرن السادس ق. م خرج فيها الانسان من الكهوف والمغاور إلى السكن في الهواء الطلق وبناء المساكن. ومنذ الألف السابع ق. م حدث جدب شديد فتكاثر السكان حول الأماكن القريب منها الماء مثل حوض الأردن وساحل البحر الأبيض المتوسط وخليج العقبة وحوالى ٥٠٠٠ ق. م شهدت فلسطين صناعة الفخار المشوى بالنار كالصفائح، والتماثيل النسائية. وفى (أريحا) كانت هناك أول التجمعات البشرية خلال الألف العاشر ق. م فهى أقدم مدينة في العالم فمنذ العصر الحجرى الأول: عصر الرجل الصياد، وعصر المراة سيدة الكهف ورأس النسب، وسيدة الانتاج البدائى وأريحا تشهد أولى التجمعات البشرية، فالكهوف متجاورة جنبا إلى جنب مع كهوف الكرمل وطبريا ومرتفعات القدس.

[أنطوان نمنم، المواقع الأثرية بفلسطين في فترة ما قبل التاريخ، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ١٩٨٤ ،المجلد الثانى، ص ١٢- ٢٥]

الشمس في تصور الإنسان الأول

حينما حلت الزراعة محل الصيد، حلت الشمس محل القمر سيدة على دولة السماء بالنسبة للديانة البدائية؛ إذ أدرك الإنسان أن حرارة الشمس هي العلة الرئيسية فيما تدره عليه الأرض من خيرات. (١)

[ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد ١، ج ١، ص ١٠٣]

(١) في مطلع الألف التاسع ق. م شهد غور الأردن بجانبيه الشرقى والغربى ظهور القرى النطوفية المعتمدة على جمع الغذاء لا إنتاجه، وظهرت أول التجارب الزراعية في العصر الحجرى الوسيط حوالى الألف الثامن ق. م في (أريحا) جنوبا وفي (تل المريبط) شمالا. لذلك تظهر أريحا كقرية مكتملة النمو منذ عام ٨٣٥٠ ق. م حيث

شهدت بناء من الطين والطوب على شكل قباب، وأقامت أول سور في التاريخ حول مدينة.

و بميلاد العصر الحجرى الحديث دخل المجتمع عصر الفخار في الألف السادس ق. م باستخدام الجرار لدفن الأطفال، ووضعهم تحت أساسات البيت، أو لدفن الموتى عموما. كما استخدمت الجرار كأحواض للماء، وكأوعية للزيت والمحاصيل.

و باكتشاف النحاس اختتم العصر الحجرى وظهر العصر النحاسى، وتركزت مناجمه في الكرمل، وقرب البحر الميت، وجنوب بئر السبع.

واتخذ الهكسوس من أريحا من أريحا قاعدة لهم بين السنة ٦٧٥٠ – ١٦٠٠ ق. م، وحافظوا على اسمها الكنعانى: (يريحو) أي القمر إشارة إلى العبادة القمرية المبكرة.

[فراس السواح، لغز عشتار، دار سومر، قبرص، ط ٢، ١٩٨٦]

زواج الإله شمس والإلهة القمر

فى الأساطير الكنعانية تزوج الإله شمس والإلهة القمر. وفي النصوص الكنعانية: [فأعطها مهرها وسلمه لأبيها ألف قطعة فضية، والكثير من الذهب..]

[ه. أديل ميدكو، التوراة الكنعانية، ترجمة جهاد هواش وعبد الهادى عباس، دار دمشق، سورية، ط ١، ١٩٨٨، ص ٣٢]

(١) النص يتحدث عن الزواج الإلهى. وحتى العصر الوسيط (٢١٠٠ – ١٦٠٠ ق. م) كان الذهب والفضة معدنين نادرين، فكانت العقود تصنع من العقيق والكريستال الصخرى والبرونز. ومعنى هذا أن كثيرا من الزينات ذات المعادن الثمينة والاحجار الكريمة المذكورة في النصوص الأقدم هي متأخرة زمنيا في حقيقة أمرها عن المرحلة التي تغنى المنشدون فيها بهذه النصوص لأول مرة، مما يؤكد تعرض هذه النصوص للإضافات المستمرة على ألسنة الكهنة والمنشدين.

[محمود مفلح البكر، الزينة في العصور القديمة، مجلة المأثورات الشعبية، السنة الخامسة، العدد العشرون، أكتوبر ١٩٩٠، الدوحة، قطر، ص ٧٨]

النجوم في تصور الإنسان الأول

وكل نجم شأنه شأن القمر والشمس يحتوى على إلها، وهو بذاته اله.

[ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد ١، ص ١٠٣].

الثريا

(الثريا) هي سبعة نجوم مرئية يتفائل الفلسطينيون بظهورها، كما يتشائمون بزوالها بنفس الروح التي تعامل معها الفينيقيون.

[سليم المبيض، الجغرافيا الفلكية للأمثال الشعبية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٤٨]

السماء في تصور الإنسان الأول

والسماء نفسها كانت الها عظيما، فهى التي تنزل المطر أو تحبسه. ومعظم الأساطير الأولى تدور حول محور واحد: هو الخصب الذي نتج عن تزاوج الأرض والسماء. (١)

[ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد ١،ج ١، ص ١٠٤]

(١) ما روى عن ولادة الآلهات وزواجهن وموتهن وعودتهن منتقمات إلى الحياة، إن هو إلا رموزا أو تعليلا لظهور النبات ثم جفافه والتجديد الملحوظ الذي يطرأ على حياة النبات حينا بعد حين، وهذه الآلهات تدل بأنوثتهن على أن الإنسان البدائى قد ربط بين الزراعة والمرأة، فلما أصبحت الزراعة هي الدورة السائدة في الحياة الإنسانية سادت الإلهات،ثم حل الآلهة الذكور محلهن حين ظهرت الأسرة الأبوية ظافرة في المجتمع الإنسانى.

[المصدر نفسه، ص ١٠٥]

الحية والشيطان

فكرة توحد حواء بالحية – والمقصود هنا بحواء الأنثى – أحيانا وفكرة توحد الحية بالشيطان تظهر كثيرا في أساطير الخلق السامية ومنها الأساطير الكنعانية. تذكر الأساطير أن الحية في الأصل لم تكن على شكلها الحالى فقد حدث لها مسخ عندما

توحدت بالشيطان حين وسوس لحواء من فم الحية – الاكل من الشجرة الممنوعة أو المحرمة، ويقال أنها الحنطة.(١)

(The birth of civilization in the near egypt p 11)

أورد (الطبرى) ان الشيطان (ابليس) عرض نفسه على دواب الأرض في أن تحمله لكى تدخله الجنة، بعد أن منعه الرب من دخولها، فكل الدواب رفضت ذلك، حتى كلم الحية، فقال لها أن أدخلتنى الجنة أحميك من ابن آدم، وتصبحين في ذمتى، وكانت الحية دابة لها اربع قوائم كأنها البعير، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به فكلم ابليس حواء فكانت الخطيئة الأولى، وعقابها الطرد من الجنة، وإدماء حواء الشهرى المتمثل في الحيض وتلك الصلة بين الرجل والمرأة والحية والشيطان.

[الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ١٠٦]

فصول السنة

أول فصول السنة: الربيع: وأيامه إثنا عشر يوما تبقى من شباط، بالإضافة إلى شهور آذار ونيسان وثمانية عشر يوما تمضى من آيار. وعدد نجومه التي تطلع فيه سبعة أنجم: سعد الأخبية، والفرع المقدم، والفرع المؤخر، وبطن الحوت، والشرطين، والبطين، وعدد ساعات نهاره ألف وخمس وسبعون ساعة ونصف ربع ساعة. وعدد ساعات ليله كذلك.

الصيف: أوله اثنا عشر يوما تتبقى من آيار، وحزيران، وتموز، وثمانية عشر يوما من آب. وعدد نجومه التي تطلع فيه سبعة أنجم: الدبران، والهقعة، والهتعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة. وعدد ساعات نهاره ألف وخمس وسبعون ساعة ونصف وربع ساعة. وعدد ساعات ليله مثل ذلك.

الخريف: أوله اثنا عشر يوما تبقى من آب، وأيلول، وتشرين الأول، وثمانية عشر يوما تمضى من تشرين الآخر. وعدد نجومه التي تطلع فيه سبعة أنجم: الدبرة،

والصرفة، والعوا، والسماك، والغفر، والزبانا، والاكليل. وعدد ساعات نهاره ألف وخمس وسبعون ساعة ونصف وربع ساعة. وعدد ساعات ليله مثل ذلك.

الشتاء: أوله اثنا عشر يوما تبقى من تشرين الآخر، وكانون الأول، وكانون الآخر، وثمانية عشر يوما تمضى من شباط، وعدد نجومه التي تطلع فيه سبعة أنجم: القلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود. وعدد ساعات نهاره ألف وخمس وسبعون ساعة ونصف وربع ساعة وساعات ليله مثل ذلك.

[السيوطى، الكنز المدفون، البابى الحلبى، القاهرة، ص ٢٨١]

من جذور الوحدة القوية

الكشوف اعتبرت (أوزيرس) أخا (لكنعان) وكان كنعان أول من سمى (فينقس) فكانت أعياد الاله المصرى (أوزيرس) تقام في مدينة (جبيل) الكنعانية (١)، وفى مكان مدينة الإسكندرية القديمة. وفي (فاروس) كانت تقام أعياد وشعائر (أدونيس) الفينيقى، فقد جعلوا من (كنعان) أخا (لأوزيرس) دلالة على وحدة نسب الأمتين.(٢)

[شوقى عبد الحكيم، أساطير وفولكلور العالم العربى، منشورات روزا اليوسف، القاهرة، ج ١، ص ٥٤، ٥٥]

(١) كلمة كنعانى أعم من كلمة فينيقى. والكشوف الحفرية أكدت أن الفينيقيين كانوا جزءا من العالم الكنعانى الذي تشكل من الهجرات السامية منذ فجر التاريخ وهي تلك الكشوف التي عثر عليها في (بيبلوص) الاغريقية ومكانها اليوم احدى القرى الصغيرة الواقعة إلى الشمال من مدينة (بيروت) وهى ما تعرف اليوم بقرية (جبيل). وكذلك دعمتها كشوف رأس شمرا في فلسطين، التي ترجع إلى بداية القرن الرابع عشر ق. م والتي عثر عليها عام ١٩٢٩، وكذلك أشارت إليه كشوف البحر الميت.

[المصدر نفسه، ص ٥٤، ٥٥]

(٢) الهكسوس دليل آخر على وحدة الأمتين فالهكسوس في الأصل كنعانيون وعموريون من سكان سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، وصلوا إلى مصر على فترات متقطعة ولكنهم حكموا مصر نحو قرن ونصف قرن من الزمن (١٧٣٠ – ١٥٨٠ ق. م) وعندما حكموا مصر جعلوا الإله المصري (ست) يعادله الإله الكنعاني (بعل) وجعلوا (ايزيس) تعادلها (البعلة) وأدخلوا (عناة) إلى قائمة الآلهة التي يقدسون.

[عبد الرحمن المزين – مجلة التراث العربى – عدد ٢، السنة الأولى، آيار(مايو)، ١٩٨٠، ص ١٦٤ – ١٦٥]

اول شعب موحد في المنطقة

مهما تعددت الآلهة في أماكن مختلفة فإن جميعها كانت تخضع لقوة كبرى هي الإله (إيل) فالكنعانيون وليس العبرانيين هم أول شعب موحد في المنطقة، وأساس التوحيد دينى أسطورى. (١)

[روجيه جارودى – فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار التراث ص ١٠٢]

(١) يبدو أن عبادة الإله (إيل) لم تقتصر على فلسطين وحدها، بل امتدت إلى الفينيقيين والسبأيين والمعينيين، والآراميين، والعبرانيين، وظل وظل يمجد كإله للكون حتى العصور المتأخرة من (تدمر)، وللحنفاء في الجزيرة العربية حتى العصر الجاهلى، وبهذا المعنى أصبح الإله (إيل) أول مؤشر توحيدى سبق دعوة (إخناتون) المصرى، واليهودية اللاحقة، مما يفسر حماس اللاهوتيين الكنعانيين للإصلاح التوحيدى الذي أعلنه (إخناتون) حين دعا إلى الإله (آتون) وهو الإله الذي قابلوا بلا شك بينه وبين الإله (إيل) لا باعتباره إلها أسمى فحسب بل باعتباره إلها واحدا للعالمين.

[المصدر نفسه، ص ٨٦ – ٨٧]

ارضنا الأم الرءوم

العلاقة بين الإنسان والأرض في ميراثنا الكنعانى هي علاقة أسطورية. فقد كان

أجدادنا الكنعانيون يدفنون أطفالهم تحت عتبة البيت، ويجعلون يدى الطفل الميت وقدميه في هيئة الوليد الخارج من الرحم تعبيرا عن عودته إلى رحم أمه كما ولد منه. مما يجعل العلاقة بين الولادة والموت كالعلاقة بين الشجرة النابتة من الأرض والتي تسقط بذورها لتعود مرة أخرى إلى رحم الأرض الأم الحنون. (١)

(١)أرضنا أرض حضارة وأرض خير.

بعض العلماء حجبوا الحضارة الكنعانية المشرقة في أصل الإنسان وأبجديته، وديانته، وحضارته. واعتمدوا على رواية التوراة التي حجبت تاريخ فلسطين في العصر الحجرى والعصر البرونزى، وهما ركنان أساسيان في البناء التاريخى لحضارة الإنسان الأول الذي كان له أثره على كل العصور بعده.

الكنعانيون اكتشفوا الأبجدية فاستعاضوا بالحروف الهجائية عن الخطوط والرسوم، ونقلت اللغة عبر سكان الساحل الفينيقيين إلى تونس (اللغة البونية) إلى مستعمراتهم في (قادش) وإلى (اليونان) لتشكل قاعدة لكل اللغات الأوروبية اللاحقة.

هذا من جهة الحضارة وهو مجرد مثل فقط. ومن ناحية الخير فنحن نورد هنا أيضا مجرد مثل: في الألف الثانى ق.م زار فلسطين أحد كبار حاشية سنوسرت الأولى (١٩٧٦ - ١٩٢٨) المسمى (سنوهى) ووصف أرض كنعان قائلا: [أرض جيدة وواسعة. أرض تفيض لبنا وعسلا. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. ارض زيتون وعسل. إن فيها تينا وعنبا. وإن خمرها أغزر من الماء. وعسلها كثير. وزيتونها وفير. وكل ما تشتهيه من أنواع الفواكه تجود به الاشجار].

من اساطير إله السماء

إله السماء تزوج بأخته إلهة الأرض فأنجبا أربعة أولاد:

١. (إيل) (١) أو القدرة أو القوة عند الكنعانيين. عرفه أو عبده أغلب الساميين. اشتقت أسماء كثيرة من اسمه مثل جبرائيل (رسول الله) وعزرائيل (عبد الله) واسرافيل

(ولى الله) وذلك عندما أصبح مفهوم (إيل) فيما بعد (الله) بشكل مطلق.

إيل هنا هو بكر آلهة السماء عند جميع الساميين ومن بينهم الكنعانيون.

٢. داجون إله الحبوب.

٣. سيتون.

٤. عتل – أول من اخترع الملاحة.

[شوقى عبد الحكيم – أساطير وفولكلور العالم العربى، دار روزا اليوسف، القاهرة، ص ٦١]

(١) من صور الخلاف بين إيل وأبيه (إله السماء) أن الأب أرسل إليه ابنتيه (عشتاروت) و(رية) لتؤذياه ولكنه استمالهما إليه وتزوج بهما، ولد لإيل من عشتاروت سبع بنات يعرفن في الاساطير الكنعانية بالطيطيات، أو الترابيات. وأنجب من رية سبعة ذكور، وعاد وأنجب من عشتاروت ابنين آخرين هما (الشوق) و(العشق).

فى نهاية حكمه أوقع (إيل) بأبيه ومزق أطرافه وأعضاؤه وألقى بها مع دمه في مياه الينابيع والآبار والأنهار. وفي نهاية حكمه أيضا وزع أملاكه على أبنائه فأعطى عشتاروت (أتيكة) وهي جزء من بلاد اليونان وأعطى بعلتى جبيل، وأعطى بيروت إلى (بوصيدون) – إله البحر– ويقول فيلو: كان إيل يملك أربع عيون: عينان إلى الأمام وعينان إلى الخلف، عينان مفتوحتان وعينان نائمتان فكان بمقدوره أن ينام متيقظا أو يستيقظ نائما. وكان الثور هو حيوان إيل المقدس أو شعاره المقدس. إيل أول من اختتن وأمر جميع أهله أن يختتنوا. إيل أول من تزوج جنية مائية ذبح ابنه منها ترضية لأبيه إله السماء.

[المصدر نفسه، ص ٦٣، ٦٤، ٦٧]

بناء سفينة نوح

أمر الله نوحا أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة، فغرسه وانتظره مئة سنة، ثم

نجره في مائة آخرى، وقيل في أربعين سنة. قال محمد بن اسحاق عن الثورى: وكان من خشب الساج، وقيل من الصنوبر وهو نص التوراة. قال الثورى: وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعا، وأن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار وأن يجعل لها جوجوا أزور يشق الماء.

وقال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعا، وهذا في التوراة، على ما رأيته وقال الحسن البصرى: ستمائة في عرض ثلاثمائة، وعن ابن عباس ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع، وقيل كان طولها ألفى ذراع وعرضها مائة ذراع.

قالوا كلهم: وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا، وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشرة أذرع، فالسفلى للدواب والوحوش، والوسطى للناس، والعليا للطيور، وكان بابها في عرضها، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها.

ويروى عن ابن عباس: أن أول ما دخل السفينة من الطيور الدرة (نوع من الببغاوات) وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار، ودخل ابليس متعلقا بذنب الحمار.

[أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، مكتبة الدعوة بالأزهر، القاهرة، ص: ٧٧، ٧٨]

سفينة نوح

قالوا: لما حل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين، قال أصحابه: وكيف نطمئن ؟ - أو كيف تطمئن المواشى ومعها الأسد ؟ فسلط الله على الأسد الحمى، فكانت أول حمى نزلت في الأرض. ثم شكوا الفأرة، فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا. فأوحى الله إلى الاسد فعطس، فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها.

كان الله قد أرسل من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده، كان كأفواه القرب، ولم يبق على وجه الأرض من كان بها من الأحياء عين تطرف،ولا صغير ولا كبير.

وردد ابن كثير ما ذكره بعض المفسرين عن عوج بن عناق أو عـوج بـن عنـق مـن الجبابرة الذين هم من الكنعانيين، وأنه كان يأخذ من طولـه السمك مـن قـرار البحـر ويشويه في عين الشمس، وأن طوله كـان ثلاثـة آلاف ذراع وثلاثمائـة وثلاثـة وثلاثـين ذراعا وثلثا إلى غير ذلك، ولكن لم يأخذ بآرائهم.

[أبو الفداء اسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، مكتبة الدعوة بالأزهر، القاهرة، ص ٧٩ – ٨٣]

يوم الطوفان

فتحت أبواب السماء بالمطر من غير سحاب وأظلمت الدنيا ظلمة شـديدة، وكـان الرجل يمشى في الطرقات والماء ينبع من تحت رجليـه، وكانـت المـرأة قائمـة في بيتهـا، فينبع الماء من تحتها وهو يفور ويغلى كغليان القدور، وصار الماء ينبـع مـن سـائر أقطـار الأرض.

ويروى أن عوج بن عنق لما رأى الأهوال أتى إلى سفينة نوح ووضـع يـده عليهـا، فقال له نوح: ما تريد يا عدو الله ؟ فقال له عوج: دعنى أمشى مع السفينة حيث شئت، فأضع يدى عليها وأستأنس بها، فسمح له نوح بأن يمشى مع السفينة حيث سارت.

[من رواية ابن إياس لأسطورة الطوفان]

حيوانات سفينة نوح

قيل لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قـال أصـحابه : وكيـف نطمـئن وتطمئن المواشى ومعنا الأسد ؟ فسلط الله على الأسد الحمى فكانت أول حمى نزلت في الأرض. ثم شكوا الفأرة، فقالوا: تفسد علينا طعامنـا ومتاعنـا فـأوحى الله إلى الأسـد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها.

[ابن كثير. البداية والنهاية، مجلد ١ . ج ١ . ص ١٢٨ . دار الغد العربى، القاهرة]

غراب نوح

يضرب المثل: (أبطأ من غراب نوح) للتناهي في البطء، والمثل له أسطورة: يحكى أن نوحا لما مشى بسفينته وأراد أن يتحسس اليابسة بعث بالغراب ليستكشف له الأرض، فأبطأ عليه. فبعث بالحمامة فأتت له بطين في منقارها، فطوقها طوقا صار لها حلية ودعى على الغراب.

[حدائق الأمثال العامية – فايقة حسين راغب – القاهرة – ١٩٣٩، ص ٢١]

الحمامة والخير

فى طوفان عصر نوح ذهب الغراب ليجيء بنبأ عن اليابسة غير أنه لم يرجع، وعندئذ بعث نوح بالحمامة التي انطلقت ثلاث مرات ثم وجدت اليابسة في رحلتها الثالثة.

[التوراة، سفر التكوين ٧: ٨]

الجبابرة او العماليق

الجبابرة أو العماليق منهم (عوج بن عنق) المخلوق الوحيد الذي لم يهلكه الطوفان خارج سفينة نوح (١) يذكر في التوراة مع الجبابرة الكنعانيين (٢) تحت اسم (عوج ملك باشان)

[فؤاد إبراهيم عباس، العادات والتقاليد في الموروث الشعبى الفلسطينى ، ص ١٥٨]

(١) ذكرالسومريون قصة الطوفان على أحد الألواح التي عثر عليها سنة ١٩٥٦، وتسمى هذه الألواح نوح (زيوسودرا) ziusudra وتسميه الكتابات البابلية أوتنابيشيتم utnapishtim وقد ذكرت قصة الطوفان على اللوح السومرى الحادى عشر في ملحمة البطل السومرى جلجامش Gilgamesh حيث تقول: قضت الآلهة بإبادة

النوع البشرى ولكن الاله (ابا) أخبر أوتنابيشيتم بذلك ونصح له بأن يصنع الفلك لكي ينجو هو واسرته وبعض الحيوانات وأنزل الله الأمطار سبعة أيام متواليات فكان الطوفان، وفى اليوم الثامن أرسل أوتنابيشتيم حمامة ثم أرسل سنونوه فعاد إليه الطائران فعلم أنهما لم يجدا مكانا يابسا يأويان إليه ثم أرسل غرابا فلم يغد إليه فعلم أن الماء أخذ ينحسر عن وجه الأرض، ورست السفينة على جبل (نيشير) nishir، وهناك قرب قربانا للآلهة فدهشت الآلهة من عدم انقراض الجنس البشرى، وقررت أن تمنح أوتنابيشيتم الخلود ونقلته مع زوجته إلى أرض أسطورية لا يمكن الوصول إليها. وتقول الأسطورة: وهناك عند مصب الأنهار وبعد زمن طويل مكث جلجامش يترقب الخلود حتى تسنى له زيارة أوتنابيشيتم وعلم منه خبر الطوفان.

[د. احسان حقى. الطوفان عند الأمم – مجلة العربى الكويتية، عدد ٢٦٨، مارس، ١٩٨١،ص ١٢٦]

(٢) يرجع سفر التكوين في التوراة الأسطورية المصاحبة لمولد ووجود الجبابرة إلى أن اتصالا قد تم بين الملائكة وبنات الناس.

[فؤاد إبراهيم عباس. العادات والتقاليد في الموروث الشعبى الفلسطينى، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٥٩]

اسطورة الطوفان

رفع البيت المعمور

لما حدث الطوفان رفع البيت المعمور الذي كان أنزل في زمن آدم، وكان ياقوتة حمراء، فلما طغى الماء يوم الطوفان رفع إلى أعلى في اتجاه السماء. وسمى البيت المعمور العتيق لأنه صار عتيقا من الطوفان، فلما سارت السفينة أتت إلى مكان الكعبة، وطافت به سبعا، ثم أتت إلى مكان بيت المقدس فزارته، وكانت السفينة لا تمر على مكان بنوح حتى تنادي يا نوح، هذا مكان كذا وكذا، فطافت به من المشرق إلى المغرب وكانت

السفينة تجرى في الماء كجرى القمر في الفلك.

[من رواية ابن اياس لأسطورة الطوفان]

يا نوح هذا موضع بيت المقدس !

طافت سفينة نوح بالبيت الحرام أسبوعا، ثم طافت ببيت المقدس أسبوعا واستوت على الجودى، وروى أن السفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس، فوقفت ونطقت بإذن الله تعالى وقالت: يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الأنبياء من أولادك.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ٢١]

العنب الأسود

نقل أهل فلسطين عن أهل مصر أن الغراب لما عاد إلى نوح على سفينة الطوفان أخبره أنه لم يجد اليابسة، فغضب نوح فدعا عليه بأن يسود لونه، وكان في يده عنقود من العنب الأبيض فاسود العنب من غضب نوح ويذكر هذا لتعليل سواد الغراب ولوجود العنب الأسود. أي أن الغراب أصل لونه البياض وليس السواد وتعززت أسطورة الغراب الأبيض في التراث المسيحى بما قيل من أن الطفل المقدس قد لعن الغربان، لأنها لوثت الماء الذي كان على وشك أن يشرب منه.

[فوزى العنتيل، الفولكلور ما هو ؟ دار المعارف بمصر، ١٩٦٥، ص ١١٣]

عوج يشوى الحوت في عين الشمس

فى طوفان نوح علا الماء على رؤوس الجبال أربعين ذراعا، فهلك كل من على وجه الأرض من حيوان ونبات سوى (عوج بن عناق) – نسبة إلى أمه عناق بنت آدم – وهى أول من عملت السحر، وولدت عوج الجبار ولم يغرقه الطوفان، ولا بلع بعض جسده،

وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر ويشويه في عين الشمس، يرفعه إليها ثم يأكله. والجدير بالذكر أن ابن كثير استنكر مثل هذه المبالغات في كتابه (البداية والنهاية).

[مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ٢٠، ٢١]

ما هذه القصعة؟!

قالوا عن (عوج بن عناق) أنه نجا يوم الطوفان من الغرق. وقالوا عن (عوج بن عنق) أيضا أنه كان في غاية الضخامة. كان يقول لنوح عن سفينته: ما هذه القصعة ؟! – ويقصد السفينة – ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلثا. وهذا على حد رأى ابن كثير مخالف للمنقول والمعقول.

أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح ولا يهلك الكافر عوج ؟! وأما المنقول فقد قال الله تعالى: (ثم أغرقنا الآخرين – وقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)

[ابن كثير، البداية والنهاية، مجلد ١، ج١، ص ١٣١، دار الغد العربى، القاهرة]

الإله إيل وأسطورة الخلق الكنعانية

تحكى أسطورة الخلق الكنعانية فيما تحكى الخطايا المتلاحقة التي ارتكبها إله السماء، منها زواجه بنساء كثيرات أنجب منهن ذرية لا حصر لها، ومنها أنه هجر زوجته (إلهة الأرض) وحاول قتل أبنائها مرارا وبلا هوادة.

الإبن البكر لإله السماء وهو(إيل) اتخذ (توت) أو (تحوت) كاتبا لأسراره.

(إيل) أشعل حربا ضد أبيه لإهانته لأمه (إلهة الأرض). (١)

[شوقى عبد الحكيم – أساطير وفولكلور العالم العربى، دار روزا اليوسف، القاهرة، ص ٦١]

(١) أصبح إيل رب الأرباب وهو القوة الكبرى في مجمع الآلهة حيث الصراع على السيادة وطبيعة اختصاص كل إله. الاله (إيل) له زوجة اسمها (عشيرة) هي إلهة البحر. الاله إيل عرشه فوق الماء، والماء الأولى الذي يمثله (يم) ابن إيل يتعرض للفناء على يد (بعل) بانتصاره على (يم) وقتله لميلاد العالم (صيرورة التحول من الماء إلى الحياة). وبموت (يم) تقيم (عنات) وليمة انتصار (بعل) على شقيقها فيسود بعل ويحكم ويتجه لأن يكون له بيت (معبد) شأنه في ذلك شأن الآلهة الآخرى.

[رجاء جارودى، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار التراث]

ويرى د. أحمد سوسة أن الاله إيل هو ذاته الاله الذي يرد اسمه في التوراة ٢٢٩ مرة، وأطلق عليه اسم الله.

[د. أحمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ، وزارة الاعلام، بغداد، ط ٥، ١٩٨١، ص ١٨٦]

إيل EL

مركزه بين الآلهة

يقف إيل على رأس مجمع الآلهة الفينيقى وهو الإله الذي احترمته جميع الشعوب السامية الغربية منذ أبعد الأزمنة. وكان إيل يسيطر على جميع بلاد كنعان، وهو الذي جعل الأنهار تجرى نحو لجج المحيط وبهذا ضمن خصوبة الأرض وهو الذي ينظم مسيرة السفن، وباعتباره ملكا كان يسكن في مقصورة قرب الساحل حيث تصب الأنهار في البحر. وتم توقيره بكثير من الألقاب. ويبدو أن أهم هذه الألقاب كان الثور أو (إيل الثور) ولا يعنى هذا تشبيهه بحيوان بالرغم من انه كان يمثل في العديد من الأحوال بشكل ثور، لكن لأن فكرة القوة والقدرة كان يرمز لها عند الكنعانيين بالثور.

[L. Delaporte, phoenician mythology]

شقائق النعمان

وقيامة الإله الكنعاني أدون

كان اللون الأحمر في بلاد كنعان قد ارتبط بقيامة الإله (أدون) الملقب بالنعمان وكانت النساء الكنعانيات يحتفلن بقيامة إلههن المحبوب بالتزين بالزهور الحمر وهي شقائق النعمان التي ترمز إلى دمه أو التخضب بالحناء أو الصبغات الحمراء التي تحاكي لون الشقائق.

[محمود مفلح البكر، الزينة في العصور القديمة، مجلة المأثورات الشعبية، السنة الخامسة، العدد العشرون، أكتوبر ١٩٩٠، الدوحة، قطر، ص ٨٤]

بعل baal

مركزه بين الآلهة

فى الأساطير الفينيقية نجد أن بعل هو أكبر الآلهة بعد إيل el – وكان ابنا لإيل وفي أحيان عدوا له. لم يظهر بعل في الأساطير الفينيقية إلا بعد وصول الفينيقيين إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط مهاجرين إليها من منطقة النقب جنوبى فلسطين، ونجد أن بعل في النصوص الأوجاريتية (رأس شمرا الحالية) هو نفس (بعل تسافون) أو (بعل لبنان).

وفى جميع الأحوال فإن أي معبود كنعانى كان يسمى بعل وهو ليس اسم علم إطلاقا بل هو كنية تخفى تحتها اسم الإله الحقيقى الذي لا يعرفه إلا الراسخون في الدين وعلى هذا فإن بعل يعنى السيد.

ونجد أيضا في نصوص رأس شمرا أن بعل هو (هدد) إله الجو والغيوم والعواصف، تردد الغيوم صرخاته محدثة الصواعق، مطلقة الأمطار. كانت أمه (آشيرات) البحرية وزوجته (آشيرات) أيضا، إلا أنه من غير الممكن القول فيما إذا

كانت هي نفس الآلهة أو إحدى أقانيمها. وتقول الأساطير إن هدد كان يمثل الأمطار والسيول المدمرة بأسوأ أشكالها بينما كان بعل إله الخصوبة ويسمى أحيانا (راكب الغيوم) وهو يمثل الوجه الخير في الأمطار مرسلا إياها في مواسمها لتروى الأرض وتخصبها.

[s. h. hooke, middle eastern mythology]

بنات الإله بعل الكنعانية

كان لبعل بنات ثلاث:

١. (موت) روح الحصاد.

٢. (عالين) روح الربيع.

٣. (أنات) إلهة المحاصيل العذراء.

(أنات) حملها الهكسوس إلى مصر، وقدست في أحيان أخرى وينسب إليها أنها التي تغطى وجه الأرض بالندى. وكانت مقدسة عند المصريين وكان الأسد حيوانها أو شعارها المقدس.(١)

[شوقى عبد الحكيم، مرجع سابق، ص ٦٧]

(١) كانت فينيقيا – في أغلب عصورها – واقعة كليا تحت النفوذ المصرى. وتفاعلت الحضارة الكنعانية مع الحضارة المصرية القديمة وظهر هذا التفاعل في الاساطير. وكانت الحصيلة قد نقلها الفينيقيون إلى حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط التي تبدت بعد ذلك في حضارة (المدن الدول) أو (الحضارات المدينية) وهى الحضارات البهلينية والرومانية فيما بعد.

[المصدر نفسه، ص ٥٨]

لكن هناك فترات تحرر الكنعانيون فيها من حكم مصر خاصة بعد سنة ١٢٠٠ ق.

م عندها كان الفينيقيون سادة البحار.

[ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد ١، ج ٢، ص ٣١٠]

الإله بعل والزراعة البعلية في فلسطين

هذا الخيار بعلي

التعابير الزراعية تنسب الزراعة غير المروية بالماء ريا مباشرا إلى الإله بعل والتي تسميها زراعة بعل أو زراعة بعلية. أي التي تعتمد على هبات بعل (١) كإله للمطر الإله الكنعاني ولقبه سيد الأرض.

أما أسرة الإله بعل إله المطر والصواعق والرعود فتشتمل على أبيه الإله (داجون) إله الغلة (القمح). وزوجه الإلهة (إيلاتا) آلهة البحر وثلاث بنات هن (بدرية) ابنة النور و(طلية) ابنة الندى و(أرضية) ابنة الأرض.

[رجاء جارودى، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار التراث،ص ١٠٢]

(١) الإله بعل رمزه الثور. انتشر من نقطة وجوده في فلسطين إلى جنوب الجزيرة العربية وجزيرتي كريت وقبرص ووشرقا إلى العراق فايران والهند. وله انتشار في مصر وعبده العبرانيون في تيه سيناء وصنعوا تمثاله من الذهب وامتدت عبادته إلى شرق الأردن وسوريا.

[رجاء جارودى، المصدر نفسه، ص ١٠٢]

عشتروت

من أسماء الإلهة عشتروت (١) وألقابها المتعددة اسم (بيروت) الذي أطلق فيما بعد على العاصمة اللبنانية. ويقال إنه كان لعشتروت ثلاثمائة لقب منها: يو – يا – ديدا– عنت – تنيت – الزهرة – أرتميس – أوربا – بعلتي – اللات – الفرقد – حنه – نعمة. الخ

عشتر أو عشتاروت باعتبارها آلهة بحرية طوفت في كل أنحاء العالم الفينيقى البحرى أو الساحلى برفقة بوصيدون فكانت مدينة بيروت مركزا لتأليه البحر.

عشتاروت نفسها آلهة خرجت من زبد البحر وينسب إلى بوصيدون أنه أول من تسلط على البحر بأمر من أبيه إيل.

[شوقى عبد الحكيم، أساطير وفولكلور العالم العربى، دار روزا اليوسف، ص ٧٠، ٧١]

(١)عشتروت (استارتى) كانت بعض الأماكن على أنها آلهة الطهر وفى أماكن أخرى على أنها آلهة الفجور والحب الشهوانى. وكما كانت (إشتار- ميلتا) تتقبل بكارى عابداتها من البنات في بابل كذلك كانت النساء اللاتى يعبدن عشتاروت في (بيلوس) يقدمن لها غدائرهن أو يستسلمن لأول غريب يعرض عليهن حبه في جوار الهياكل.

[ول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد ١، ج٢، ص ٣١٥]

رحلة عشتروت وبوصيدون

الآلهة عشتروت وجد هيكلها بالقرب من نهر إبراهيم بفلسطين وكان لها ثلاثمائة لقب. ولقد عبدت الشعوب الكنعانية الفينيقية (عشتر) باعتبارها آلهة بحرية طوفت في كل أنحاء العالم الفينيقى البحرى أو الساحلى وعشتروت نفسها خرجت من زبد البحر وينسب للإله بوصيدون بكر كنعان أنه أول من تسلط على البحر.

وبوصيدون كان من الآلهة التي رافقت عشتر في تطوافها في كل أنحاء العالم الفينيقى البحرى أو الساحلى وتسلط بوصيدون على البحر بأمر من أبيه الإله إيل أو كرونس ومع أن اسم بوصيدون ابن كنعان عم فشمل كل القبائل الكنعانية إلا أنه يمكن أن نفرق بين أمثال الجبابرة أو العماليق من (أصحاب الوبر) وبين (أصحاب الصيد والبحر).

أوجاريـت، s. h. hooke, middle eastern mythology, london 1963, p. 80,] الشيخ نسيب وهبة الخـازن، ص ٢٠٩ ومـا بعـدها، فـؤاد إبـراهيم عبـاس، العـادات والتقاليد في الموروث الشعبى الفلسطيني ، ص ١٥٩، ١٦٠]

ليليت او ليلى

ليليت كلمة بابلية أشورية معناها أنثى العفريت أو الـريح وتحـول اللفـظ في فـترة لاحقة إلى ليل. ونقل الاسم إلى الكنعانيين وعرفت بأنها الجنية ليل التي يغطـى الـشعر كـل جـسدها العـارى وتـسكن الأمـاكن المهجـورة. العبرانيـون أخـذوا فكرتهـا عـن الكنعانيين، فليليت في اللغة الكنعانية أو الفينيقية معناها: إناثا، ومفردها أنثى وهى مـا تتوحد مع عشتروت خاصة طقوس العرس المختلط.

[شوقى عبد الحكيم، أساطير وفولكلور العالم العربى – دار روزا اليوسف للنـشر – القاهرة، ص ٢٠٤]

العبرانيون تاثروا بالآلهة الكنعانية

فى أكثر من مكان ورد في التوراة أن العبرانيين عبدوا البعل وعشتروت (١) وهذه أمثلة:

[وعبدوا البعل وعشتاروت..]

- سفر القضاة. إصحاح ٢ سطر ١٣.
- سفر صموئيل الأول. إصحاح ١٢ سطر ١٠.

(١) يقول (لودز) إن بناء الهيكل الذي شيده سليمان كان للتوفيق بـين المعتقـدات المتعارضة، وذلك باندماج عبادة (يهوه) المتمثلة في تابوت العهد مع العبادات الآخـرى وخصوصا عبادة الفينيقيين.

lods, pp 414. 415, israel from its beginnings to the middle of the 8 th.]
[centuary

صيدون

عندما تملك صيدون ابن كنعان المدينة الدولة (صيدا) أصبح ملكا على كل فينيقيا وتزوج (صور) وأنجبا أبناء كثيرين كرمل البحر، منهم: قدم وفينيق – فينيكس – ودريال وأوربا، وتملك هؤلاء بدورهم على كل الممالك الكنعانية. لكن اسم صيدون ابن كنعان عم فشمل كل القبائل الكنعانية.

[شوقى عبد الحكيم، أساطير وفولكلور العالم العربى، دار روزا اليوسف.، ص ٧١]

أسطورة بعل وعنات

أسطورة الخصب والجدب

حبكة الاسطورة

تبدأ حبكة الأسطورة (١) من افتراض إقامة الإله بعل في بلاط حضرة كبير الآلهة إيل عندما يعلن عليه الحرب – أي على كبير الآلهة - الإله يم إله البحر. هنا يتصدى بعل ليم وينتصر عليه بمؤازرة عشيقته الإلهة عنات إلهة الخصب وشقيقة الإله يم. عنات ذبحت (مت) بسكين الحصاد المنجل (٢)

[رجاء جارودى، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار التراث]

(١) أسطورة بعل وعنات الكنعانية عالجت مركزية الخصب والجدب كما عالجتها أيضا واشتركت معها في نمط الأرض الأم وفي وحدة الموضوع والفكرة اسطورة تموز وعشتار البابلية، وأسطورة أدونيس وأفروديت الإغريقية وأسطورة إيزيس وأوزوريس المصرية القديمة، وارتبط هذا في عصرنا الأدبي الحديث بالنقد التطبيقي إذ لمسنا عند شعراء وأدباء كثير بروز جزئيات عديدة أو كليات حول أسطورة الموت

والانبعاث أو الجدب والخصب، وما أسطورة السندباد للشاعر المرحوم صلاح عبد الصبور الأمثل على ذلك.

(٢) وقائع الاسطورة في عصر البرونز (٣٠٠٠ – ١٢٠٠ق.م) وكانت مدن الكنعانيين في فلسطين هي: أريحو – بيت شان – شكيم – تل بيت – مرسيم – عكو – يافا – عسقلان – غزة – بئر السبع – عقرون – تل جاز – تل الفارعة – أورشليم – مجدو – بيت يراح. وقد دعى الكنعانيون بهذا الاسم بسبب اشتهارهم بالصبغة الأرجوانية الحمراء التي كانوا يستخرجونها من أصداف بحرية تظهر بكثرة على الساحل وهى التي تسمى بأصداف الموركس وكانت نساؤهم تطرز ثيابا تصبغ بهذه الصبغة الأرجوانية فتاجروا بهذه الثياب ولم يتاجروا بالصبغة ذاتها.

أهم الآلهة التي ارتبطت بأساطيرهم في عصر البرونز عليان بعل أو بعل، عناة، عشيرة أو عشتر، مت، إيل، حارون، شالم أو شليمو، داجون. وفى الأسطورة هنا إختفاء وظهور عليان بعل وإختفاء وظهور مت يستتبعه إختفاء وظهور الخصب وإختفاء وظهور الجدب وفى الخصب يقام عيد لمدة ٧ أيام ترقص فيه رقصة الدبكة.

الحرب في أسطورة بعل وعنات

اسطورة الخصب والجدب

هذه الأسطورة أوغاريتية فهى كنعانية فينيقية (١).

تقوم بالدور الإلهة الأنثى عنات – عشتاروت فيما بعد – وهى آلهة القوة الإخصابية في الكون مع قرينها الإله الذكر بعل أو حدد أو أدون، وهو إله السحاب والمطر والندى حيث يكون حبهما الأبدى ضرورة للحياة الزراعية. ويكون بعل الذي يمثل قوى الحضارة والإخصاب مقابلا لعدوه الإله (موت) الممثل للموت والجفاف والدمار والفوضى. فإذا كان بعل يحاول جهده الحفاظ على روح الإنسان بإغداق

الخيرات والثمار وبث الخصب في التربة وعالمه هو عالم النور والشمس والوضوح فإن خصمه موت عدو للإنسان يلاحقه في كل مكان لإقتناص روحه وهو ضد النبات يرسل عليه الجفاف ليذبل ويذوى وعالمه سفلى يسوده الظلام والصمت والسكون في مقابل عالم بعل الملىء بالفاعلية والحركة والنشاط والصراع مكتوب على القوتين أبدا طويلا (٢).

وتقوم عنات بقتل موت وتمزق جسده وتبعثره على الحقول وبهذا النصر المؤزر تنبعث الطبيعة من جديد وتعود الأمطار لتروى الأرض المجدبة وترجع الحياة الزراعية سيرتها الأولى وهذه الأسطورة تعود بنا إلى أرض كنعان في عصر البرونز وقد أوردنا القصيدة الأسطورية للإله بعل والإلهة عنات في موضع آخر.

[د. مختار أبو غالى، مجلة البيان الكويتية، مارس ١٩٩٠، ص ٦٢- ٦٨]

(١)آثار رأس شمرا في أوجاريت أماط اللثام عنها (س. ف. ١. شيفر) عن ألواح من الصلصال تضم بعض المقتطفات من الأدب الأسطورى والدينى الكنعانى منذ القرن الرابع عشر ق. م، نشرها في أربع ملاحم (تشارلز فيرولود) ثلاث منها تدور حول الإله بعل والإلهة عنات معتقدين أنها نشأت في الجزء الجنوبى من فلسطين وهناك آراء أخرى ترى نشأتها في الجنوب اللبناني.

[أولبريت، آثار فلسطين، ص ١٨٧ - ١٨٨]

(٢) الأسطورة لا تهدف هنا إلى تفسير الدورة الزراعية السنوية ولكنها هدفت بدقة إلى تفسير تناوب دورتى الخصب والجفاف الذي يميز مناخ المنطقة والذي يبدو واضحا في أرض كنعان ويمكن حصره في سبع سنوات تعقبها فترة قحط تطول أو تقصر وليس في أرض كنعان جدب مطلق فالتين والعنب ينضجان في الصيف ولكن المعنى أن انتصار بعل معناه أن المطر هو المصدر الأول للماء.

ملحمة الإله بعل والإلهة عنت

هى أهم القصائد الأسطورية التي كشفت في أوجاريت وأطولها وأهمها موضوعا. تبدأ بقصة الصراع بين الإله بعل وإله البحر يم وهو ينتهى بإنتصار بعل ثم تمضى الملحمة فتروى بناء قصر لبعل والاحتفال الكبير بافتتاحه. والنقطة التي تدور حولها الملحمة هي ذبح بعل والنزول به إلى مملكة الموتى حيث يحكم هناك الإله موت وينتج عن إختفاء بعل توقف الحياة على الأرض فتأتى الإلهة المحاربة عنت وتذبح الإله موت: تقترب منه عنت العذراء وكما يهفو قلب البقرة إلى عجلها وقلب الشاة إلى حملها، كذلك يهفو قلب عنت إلى بعل،وتمسك بموت ابن إيل وبالسيف تشقه وبالمذراة تذروه وبالنار تحرقه وبالرحى تطحنه وفى الحقل تبذره فتأكل قطعه الطيور وتفنى أجزاءه العصافير جزءا جزءا.

وهكذا يعود بعل إلى الأرض ومعه الخصوبة ووفرة المحاصيل وقد يفسر هذا بأن بعل هو إله المطر والخصب ويحكم الأرض من سبتمبر إلى مايو، وموت هو إله الموت والجدب ويحل محل بعل في الصيف ولكن يطرد مرة أخرى بقدوم الخريف.(١)

sabatino moscati, ancient semitic civilization, london, 1957, elek]
[books, p 130

(١) اعتبار القصة تدلل على دورة الفصول وأن الصراع بين الآلهة كما ورد في الأسطورة يعكس نمو النبات وذبوله في السنة في المنطقة أيده كل من جراى وإيسفلت وجاستر ولكن رفضه جوردون الذي رأى أنه ليس في كنعان فصل جدب فالتين والعنب ينضجان في الصيف ولكن المعنى هو أن انتصار بعل انما يعنى أن المطر هو المصدر الأول للماء الذي يوزع بعد ذلك بين البحار والأنهار والينابيع والآثار وأن بعل هو إله الخصوبة حقا.

[المصدر نفسه، هوامش الفصل الخامس]

أسطورة الإله بعل والإلهة عناة

الجانب الفلسفى الأسطورى

هذه الملحمة هي تجسيد لمظاهر الطبيعة فيصور الصراع بين بعل إله الخضرة والأمطار وبين مت إله الموت والجفاف. الصراع يشتد بينهما وهنا يجب التركيز على الصراع إلى الحد الذي يقضى فيه مت على بعل فتكف الحياة عن الخصب لأن بعل هو إله الخضرة والأمطار ولذلك فإن عناة وعشتر لا يسعهما إلا البحث بجهد وعناء شديدين عن بعل أو أن يقضيا على مت إلى أن تعثر عناة على مت وتذبحه بسكين الحصاد الحاد – المنجل – وتذروه بالمذراة في حقول

كنعان. وهكذا تعاود الأرض الخضرة والازدهار وتتوالى جزئيات الأسطورة بتفاصيلها مرات ومرات، فإذا ظهر عليان بعل – بعل – اختفى مت وهكذا.

الإحتفال بيوم النصر

الإحتفال باليوم الذي عاد فيه اله الخصب لدى الكنعانيين كان يعتبر عيدا من الأعياد. إنه عيد النصر. عيد الحياة. وتطول مدة العيد إلى سبعة أيام حيث يرقصون في هذا العيد في الأيام السبعة (رقصة المعابد) وهى جذر رقصة الدبكة اليوم وقيل كان لهم عيدان: واحد في الربيع وواحد في الصيف. يقابل هذا العيد في بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات باحتفال تقتضيه أسطورة تموز وعشتار البابلية (١) عندما تعود عشتار إلى الأرض وتعود الطبيعة من جديد والناس يحتفلون كل عام مع الموسيقى صيفا في شهر تموز الذي سمى باسم الإله.

[عبد الرحمن المزين، مجلة التراث العربى، عدد ٢، سنة أولى، أيار (مايو) ١٩٨٠، ص ١٥٧ – ١٦٠]

(١) أسطورة تموز وعشتار البابلية تتحدث عن تموز – واحد من آلهة الخصب –

وعشتار زوجته التي تتجسد فيها قوى التناسل في الطبيعة ويعتقد الناس في موت تموز كل سنة متنقلا من أرض المسرات إلى العالم المظلم تحت الأرض. وقرينته عشتار ترحل كل سنة إلى البلاد التي لا عودة منها بحثا عنه وفى غيبتها تنقطع بالطبع عاطفة الحب على وجه الأرض وتهدد الحياة بالفناء لأن العلاقات الجنسية ترتكز على وجود الاله فيتدخل كبير الآلهة أيا وتعود عشتار إلى الأرض. ربما مع حبيبها تموز وهكذا.. تعود الطبيعة من جديد ويعود مرة أخرى الانتعاش والازدهار. ويحتفل الناس باليوم.

الخصب والجدب أو الموت والانبعاث هو موضوع الأسطورتين كما أنه موضوع أسطورة ثالثة إغريقية أيضا هي أسطورة أدونيس وأفروديت وتحكى أن واحدة من الآلهة أحبت أباها وضاجعته بحيلة بمساعدة وصيفة لها وبتشجيع من إلهة الحب والجمال أفروديت وعندما أدرك الأب ما فعلته الإبنة استل سيفه وهم بقتلها لولا تضرعها للآلهة لكى تنقذها وحيث استجيب لها لكن أخفيت عن أبيها بمسخها إلى شجرة المر وانفتحت شجرة المر بعد عشرة أشهر ليخرج منها أدونيس الجميل والذي هامت به أفروديت حبا وعهدت به إلى برسيفونى إلهة العالم السفلى.

برسيفونى أحبت أدونيس ورفضت إعادته إلى أفروديت. الإلهتان احتكمتا إلى (زفس) كبير الآلهة الذي قضى بأن يقضى أدونيس ثلث السنة مع برسيفونى والثلث مع أفروديت والثلث الباقى لنفسه، أي كان يقضى أربعة أشهر من كل سنة في العالم الأسفل وثمانية في العالم العلوى إلى أن أساء مرة إلى الإلهة (أرتميس) فأرسلت إليه خنزيرا بريا قتله ففاض دمه مضرجا زهرة الورد محمرة خالدة.. وبكته أفروديت طويلا.

[جيمس فريزر، أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ص ١٨ — ٢٣]

طائر الفينيق

من الأشياء التي ورد ذكرها في أسطورة بعل وعناة الكنعانية طائر الفينيق أو

فينيكس الأسطورى وفينيق له نظير أسطورى هو العنقاء الطائر المصرى وكان المصريون القدماء يتصورونه على هيئة لقلق يعود إلى مصر كل خمسمائة سنة أو ألف وأربعمائة وواحد وستين سنة – وهما رقمان لهما علاقة بعلم التنجيم – ينشئ عشه ثم يموت ومن رماده يخرج ولده وقد أصبحت العنقاء رمزا للبعث ولذلك نقشت صورها على التوابيت وضربت على النقود. ومن جهة أخرى وردت كلمة فينيق في مجال آخر من خلال الأساطير الكنعانية: الملك صيدون بن كنعان عندما تملك المدينة الدولة صيدا أصبح ملكا على فينيقيا وتزوج الأم صور وأنجب منها أولاد أبناء بعدد رمل البحر ومن بينهم فينيق أو فينيكس.

[معجم الأساطير اليونانية الرومانية، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى، دمشق، ١٩٨٢، ص ٣٣٣]

السحر والغروب

هى قصيدة أسطورية كشفت في أوجاريت (١) الجزء الأول منها يورد الطقوس والترانيم المصاحبة لاحتفال دينى مقام في موسم حصاد العنب أما الجزء الثانى منها فيقص ميلاد إلهين ابنين لإيل وأسماهما السحر والغروب (٢) ويرى بعض المفسرين أن نص القصيدة انما هو احتفال موسمى في قالب مسرحية.

[sabatino moscati, ancient semitic civilization, london, 1957, elek books, p 130]

(١) موقع أوجاريت الميناء الأبيض شمال اللاذقية بنحو عشرة أميال. بدأ الاكتشاف في عام ١٩٢٨ وبدأت الحفائر في الموقع عام ١٩٢٩ حيث اكتشف أن تلا كان يغطى مدينة قديمة، التل هو رأس شمرا والمدينة هي أوجاريت.

كشفت في رأس شمرا عدة مئات من الألواح وقطع الألواح المكسرة أحدثت ثورة في معلوماتنا عن الأدب الكنعانى والمجموعة الأساسية في نصوص أوجاريت هي

مجموعة الملاحم وشعر الأساطير وأبرز ما فيها قصة بعل وأخته عنت وقصة أقهت وقصة كرت.

المدينة أوجاريت خربت حوالى ١٣٥٠ ق. م والوثائق المكتشفة ترجع إلى ما بين ١٥٠٠ و١٤٠٠ ق. م تقريبا ولكن بالطبع قد تكون الوثائق المكتشفة نسخا أو نشرات جديدة من وثائق أقدم.

[المصدر نفسه، فصل مصادرنا عن الكنعانيين]

(٢) شحر وشلم في النص الأوجاريتى وهما إلهان ساميان معروفان: شحر هو السحر بفتحتين باللغة العربية اشتقاقا ومعنى وشلم بمعنى التمام والكمال، فالغروب هو تمام النهار.

[المصدر نفسه، هوامش الفصل الخامس]

قصيدة اقهت الأسطورية

من القصائد التي اكتشفت في أوجاريت عند رأس شمرا وكمقدمة لها تقول الأسطورة إن الإله إيل أنجب ابنا يدعى كريت. كريت هذا كان ملكا على سدوم وأمره أبوه إيل بالقيام بغزوة تقودها الإلهة تيرا لتأديب قبيلة زبولون – نسبة إلى زبولون بن يعقوب – وكانت تسكن ما بين جبل الكرمل وبحيرة الجليل. وبعد أن عاد كريت من الغزو اشترى زوجة أنجبت له البطل الأسطورى دانيال. دانيال هذا أنجب أقهت.

تعرض الإلهة عنت الخلود على أقهت مقابل قوس كان يستخدمها في الصيد فتقول له: [اطلب الحياة يا أقهت يا أيها البطل اطلب الحياة فاعطيك إياها والخلود فأسبغه عليك وأجعلك تعد مع بعل السنين فتحصى مع ابن إيل (١) الشهور. وبعل عندما يهب الحياة يولم وليمة، يولم لمن يحييه ويسقيه ويعزف ويغنى له وينشد له في عذوبة فهكذا أعطى الحياة لإقهت البطل (٢)].

[سبتينو موسكاتى، الحضارات السامية القديمة، ص ١٣٢]

(١) ابن إيل: المقصود بعل.

(٢) الشعر مأخوذ من اللوحة السادسة،من ٢٦ – ٣٣. من قصائد أوجاريت. ويجيب أقهت على العرض الذي تقدمت به الإلهة عنت بأنه لا يستطيع الخلود – مما يدلل على فكرة حرمان الإنسان من الحياة الخالدة – وبهذا لا تنال عنت القوس فتتأمر عليه ويقتله وزيرها وهنا تضيع بعض أجزاء النص.

[المصدر نفسه]

اسطورة ملحمة كرت

كرت كان ملكا فقد أسرته كلها، في أحد أحلامه رأى الإله إيل، أمره إيل أن يقود حملة عسكرية إلى أرض آدم ليقهر ملكها ويتزوج من ابنته فتنجب له ذرية جديدة. والملحمة تصف تنفيذ كرت لأوامر الإله إيل وعندما يأتى إليه رسل الملك المغلوب يعرضون عليه الهدايا الثمينة حيث يرفض كرت جميع هذه الهدايا بشدة ويقتصر مطلبه الوحيد على الأميرة التي لابد من أن يتزوج منها. وتصبح الاميرة زوجا لكرت وتتحقق النبوءة ويحيط الغموض بنهاية الأسطورة. يمرض كرت ولكن يبدو أنه أنقذ بتعويذة من التعاويذ: [هب لى (١) حرى (٢) العذراء الرقيقة بكر أولادك التي مثل رقة عنت رقتها ومثل وسامة عشتروت وسامتها، التي مقلتاها كفصوص اللازورد وجفناها كأقداح المرمر التي وهبها إيل في حلمى أبو البشر في رؤياي حتى يولد ولد لكرت لعبد إيل(٣)].

[sabatino moscati, ancient semitic civilization. p 133]

(١) كرب: ٢٨٨ – ٣٠٠ قصائد أوجاريت، طبعة جوردون.

(٢) حرى: اسم الأميرة التي يطلب الزواج منها.

(٣) يقارن نقاد الأدب والأساطيرهنا بين الملحمة وإلياذة هوميروس والفكرة هي

القيام بحملة عسكرية من أجل الظفر بعروس جميلة أو استعادتها.

[المصدر نفسه]

أسطورة جلجامش

من الاساطير المنقولة إلى ارض كنعان من بابل

أساطير الخصب أو الجدب أو الموت والإنبعاث الثلاثة الكنعانية والبابلية والمصرية تتحد في موضوع الخصب والجدب حيث فكرة الموت والعودة قد لعبت دورا هاما الطبيعة تموت وتنبعث بشكل متكرر وهذا انعكاس لموت الاله وانبعاثه.

وطبيعى ان يكون قد نتج عن اعتقاد الانسان الأول بأن الآلهة ليست منزهة تماما عن الاخطاء وأنها تسقط فيما يسقط فيه البشر من صراعات ورغبات ونوازع نجم عنه قصة تكررت في الأساطير وهى قصة ميلاد إنسان من أب إلهى أو من أم إلهية وجعل من هذا المنتوج عنصرا جديدا يجمع بين البشرية والألوهية أي نصف إله وهو ما يسمى بالكائن الأسطورى أو البطل. واساطير الأبطال بعضها نقل إلى أرض كنعان من بابل ومن ذلك أسطورة جلجامش.

أسطورة جلجامش

تعتبر أسطورة جلجامش ملحمة كانت تزين مكتبة أشورنيبال في نينوى عاصمة آشور فيما بين النهرين دجلة والفرات وكتبت هذه الملحمة باللغة الأكادية وعثر المنقبون من علماء الآثار على الملحمة في اثنى عشر لوحا وتضمن اللوح الأول خبر البطل جلجامش الذي كان يفوق الأسود في شجاعته وقد اشتكته النساء في بلدة ورفا إلى الاله أنو لأنه كان ينتزع من كل امرأة حبيبها، وأرسلت الآلهة منافسا لجلجامش في ورفا هو أنجيدو في مثل قوته لمنافسته وتلبية لشكوى نساء ورفا وعرف جلجامش بخبر منافسه القادم إلى ورفا فأرسل إليه امرأة جميلة تغريه ومع ذلك فإن القلق سيطر عليه

بعد أن رأى حلما أزعجه وقرر في النهاية أن يكون صديقا له.

و يتحدث اللوح الثانى عن حلف بين جلجامش وأنجيدو وفي مواجهة قوة ثالثة أبرزتها الآلهة ممثلة في خومبايا الذي نشر الرعب بين الناس وسطا على أشجار السدرة وصاح جلجامش بصديقه أنجيدو. صديقى: اننا سنرحل معا إلى الأحراش لنقف معا أمام خومبايا.

ويصف اللوح الثالث مزيدا من القلق انتاب جلجامش عندما غادر المدينة إلى الغابات بالإضافة إلى الأحلام المزعجة التي أقضت مضجعه.

و تضمن اللوح الرابع استعداد الصديقين للسير إلى شجر السدر لملاقاة العدو. كما تضمن اللوح الخامس بحث الصديقين عن العدو خومبايا وفى نهاية اللوح خبر مصارعة جلجامش وخومبايا التي انتهت بمصرع الأخير ثم عودة جلجامش وأنجيدو إلى مدينة ورفا.

و يتحدث اللوح السادس عن قصة غرام الإلهة عشتروت بالبطل جلجامش وكيف أن الأخير صرفها عنه بقسوة وكيف تآمرت عليه وأقامت له المتاعب في ورفا.

و في اللوح السابع يمرض أنجيدو ويعلن اللوح الثامن عن وفاته وبداية أحزان جلجامش.

ومن بداية اللوح التاسع تركز الأسطورة على سعى جلجامش الدأوب ليصل إلى انسان اسمه أوتنابشيتم وصل إلى الخلود وكان هدف جلجامش من الاتصال به هو أن يدله على سر الخلود وينتقل جلجامش إلى العالم السفلى بحثا وراء الخلود بعد أن أصبح يخاف الموت ويحذره حارس الحياة السفلى من وعورة الطريق التي توصله إلى الانسان المخلد أوتنابشيتم وفى النهاية تشفق عليه المرأة سابيتو التي تحرس شجرة الحياة.

ويصف اللوح العاشر تسهيلات سابيتو التي أوصلت البطل إلى أوتنابشيتم وفي اللوح الحادى عشر وصف لحصول جلجامش على أعشاب الخلود وتذكر الأسطورة في

نهاية اللوح الحادى عشر أن سفينة سارت بالبطل جلجامش حتى ظهر اليابس فنزل يطلب الراحة ثم أراد أن يستحم فترك حشائش الخلود ونزل الماء واشتمت أفعى رائحة الحشائش فخرجت من جحرها وقضمتها كلها وما أن فعلت ذلك حتى خلعت عنها جلدها واستردت شبابها وذهل جلجامش وعاد مع رفيق له إلى ورفا حزينا.

و في اللوح الأخير محاولات يائسة من البطل للاتصال ثانية بحارس العالم السفلى ومناجاة لصديق البطل الراحل أنجيدو ثم نوم إلى الأبد للبطل جلجامش.

وإذا كانت الملحمة تبحث عن الخلود فإنه مما لا ريب فيه أن الملحمة اختطت النضال القاسى المرير من اجل هذا الخلود وقد انتقلت أسطورة جلجامش إلى تراث اليونان فذكرت الأساطير بحث الاسكندر ألأكبر عن الخلود كما بحث عنه جلجامش وفي هذه المرة يسعى الاسكندر للوصول إلى نبع للخلود في بحر الظلمات يتيح للذى يشرب منه حياة خالدة ويأخذ الاسكندر معه في رحلة جادة بحثا عن هذا النبع بعض الأصدقاء بالإضافة إلى طاهيه الخاص وفي الطريق يتعرف الطاهى على النبع ويشرب منه ويكتم أمره عن سيده الاسكندر وبعد رحيلهم عن النبع واستبعادهم عنه يكشف الاسكندر الشر ويحاول قتل الطاهى فيعجز فيربط في عنقه حجرا ثقيلا ثم يقذف به في أعماق الماء ويخلد الطاهى ولكن في قاع البحر مع الحيوانات المائية وهكذا يحصل على الخلود من لا يسعى إليه وبعد أن يحصل عليه لا يسعد به (١).

وتوحى الأسطورتان بأن الخلود الحقيقى انما هو الخلود الانسانى وهو خلود الذكر الحى للانسان عند أخيه الانسان الذي يحفظه الجيل تلو الجيل وهو الخدمة الحقيقية لحرية الانسان وبناء حضارته في كل العصور.

و لا غرابة أن يصل ميراث ما بين النهرين دجلة والفرات أو ميراث وادى النيل أو غيرهما إلى أرض فلسطين فقد كان الغزو والهجرة على مر العصور يصلان إلى أرض كنعان وقد صورت لوحة محفورة على الخشب من القرن السابع عشر دخول إبراهيم

الخليل إلى أرض كنعان من مدينة أور وكانت رحلة إبراهيم الخليل على رأس قبيلته قد وضعت احدى بدايات تاريخ القدس كمدينة دينية هامة ولكنها ليست بداية القدس التي كانت قد بنيت قبل أربعة آلاف سنة ولا غرو أن أسطورة جلجامش عن الخلود وقصة الاسكندر في الخلود قد تركتا آثارا في الشرق كما تركتا آثارا في العالم أجمع إذ أصبح البحث عن الخلود في الميراث الأدبى والفولكلورى جزءا من ميراثنا العربى وجزءا من الميراث الانسانى.

و قد كفانا الدين الاسلامى مؤونة التفتيش عن الخلود عندما نزل القرآن الكريم يقول: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون.. ويهمنا في هذا المجال أن نقول أن ثمة فهما جديدا من جانب الثورة الفلسطينية لمعنى البحث عن الخلود فقد ربطت ثورتنا الفلسطينية عالم الموت بالقضية النضالية للانسان ومن قصص شهدائنا التي نعتبرها من قصص الثورة أن المناضل إبراهيم أبودبة كان قد طلب من رفاقه أن يسمعوه نشيد موطنى وهو على فراش الموت ووقف أصدقاء له ثلاثة ينشدون له نشيد موطنى وصحيح أن الرجال الثلاثة كانوا يبكون وهم يرددون:

موطنى، الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك
والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك
هل أراك
سالما منعما وغانما مكرما
هل أراك في علاك قاهرا عداك
موطني موطنى..

صحيح أن الرجال وهم ينشدون نشيدا وطنيا يودعون رفيقهم إلى ما اصطلحوا عليه اسم الموت..

صحيح أنهم كانوا يبكون ولكن رفيقهم وهويسمع النشيد كانت تنتشر فيه وفى المكان روح تبعثها الثورة.. ما كان الفراش فراش الموت، وما كان إبراهيم يموت. إن

الثورة الفلسطينية أعطت بذلك الاحتفال من خلال لحن النشيد الوطنى معنى جديدا للأسطورة أحال جلسة الموت إلى أناشيد أبدية بعيدة (٢).

(١) د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبى، القاهرة، ص ٤٢ – ٤٨

(٢) فؤاد إبراهيم عباس، فنون القول في الموروث الشعبى الفلسطينى.

قبر آدم

اختلف في مدفن آدم أبى الأنبياء فقيل إن قبره في مغارة بين القدس ومسجد ابراهيم، رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد إبراهيم عليه السلام.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٨]

المراة من ضلع الرجل

في الرسوم الحائطية الكنعانية التي ترجع إلى ما قبل القرن الرابع عشر ق. م والتي تصور الإلهة االعارية (أناثا) أي الأنثى أو (الليليت) طائرة في الهواء، مقبلة عشيقها النائم الإله (موت) وفى صورة أخرى يبدو (موت) يحفر تحت الضلع الخامس بما يشير إلى خلق حواء من ضلع الرجل.

[lore, Syrian stone, p. 83]

حواء الثانية «برها»

مكنت زوجة نوح الشيطان من تخريب السفينة التي بناها نوح ثلاث مرات وكذلك فقد تسلل الشيطان إلى السفينة خلال الطوفان عن طريق زوجة نوح.

وفى نصوص أبيفانيس أن «برها» زوجة نوح أشعلت السفينة نارا عندما دخلتها.

جزئية غواية الشيطان للزوجة منحدرة من آدم وحواء في أغلب الأساطير السامية.

[the birth of civilization in the near east p. 20]

قطور أم الملوك

كانت زوجة النبي إبراهيم الثالثة – التي تزوجها عقب وفاة سارة امرأة كنعانية تدعى قطور فمن رحمها انحدر ستة ملوك أو أقوام هم: زمران وويقشان، ومدان، ومديان، ويشباق، وشوحا. ومنهم جاء ملوك شبا وددان وسينا إلخ..

[فؤاد إبراهيم عباس، العادات والتقاليد في الموروث الشعبي الفلسطيني، دار العروبة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٥٩]

لعنة الوزغ

قالوا في الوزغ: إن أباها لما صنع في نار إبراهيم وبيت المقدس ما صنع، أصمه الله وأبرصه، قيل: «سام البرص» فهذا الذي نرى هو من ولاه حتى صار في قتله الأجر العظيم ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والذئاب إذا خافها على المسلمين.

[الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٦٨]

عصا موسى

عصا موسى – آيته الكبرى – قبل من آس الجنة، حملها آدم معه فتوارثها الأنبياء بعده حتى وصلت إلى شعيب فأخذها موسى. قيل كان طولها عشرة أذرع وفى رأسها شعبتان وما برحت مع موسى حتى توفاه الله، فجعلت في تابوت السكينة، وللناس فيه اختلاف، فقيل خلفه موسى عند يوشع في التيه ففقد هناك حتى أعاده الله وجعله علامة على ملك طالوت، وقيل دفعه الله إليه ثم أنزله مع الملائكة، وقيل استولى عليه بعض الكفار في حروبهم فكان عندهم حتى أعيد ثم لما استولى الكفار على بيت المقدس وقتلوا أكثر بنى اسرائيل فقد التابوت بما فيه فلم يوقف له على خبر. وقيل أن التابوت والعصا في بحيرة طبرية يخرجان يوم القيامة، وقيل يخرجان عند نزول عيسى وهذا غاية ما انتهى إلينا من خبرهما، ولا أعلم أحدا قال أن العصا دفنت مع موسى.

[جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، الكنز المدفون في الفلك المشحون، ط ٤، ص ٢٨٢]

سليمان في ضيافة الهدهد

قال الهدهد يوما لسليمان: أريد أن تكون في ضيافتي يوم كذا وكذا. فقال له سليمان: أنا وحدي ؟ قال: لا بل أنت وجنودك. فلما جاء يوم الميعاد توجه سليمان هو وجنوده إلى ضيافة الهدهد ونزل بجزيرة الهدهد فطار الهدهد إلى الجو وغاب ساعة ثم أتى وفي فمه جرادة، فخنقها ورمى بها في البحر. وقال له: يا نبي الله تقدم وكل أنت وجنودك ومن فاته اللحم فعليه بالمرقة. فضحك عليه سليمان، فصار كلما تذكر تلك الضيافة سليمان يضحك.

ومن النكت في مثل ذلك أن القبرة أضافت سليمان، وأتيه ببعض جرادة فقيل في معناها: أتت سليمان يوم العرض قبرة تهدى إليه جرادا كان في فيها وأنشدت بلسان الحال قائلة:

إن الهدايا على مقدار مهديها

لو كان يهدي إلي الإنسان قيمته

لكان قيمتك الدنيا ومن فيها

[أبو الفرج بن الجوزى، أخبار الأذكياء، تحقيق محمد مرسى الخولى، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة. ١٩٧٠، ص ٢٤٨]

من مقاييس سليمان

جعل سليمان تحت الأرض بركة ببيت المقدس وجعل فيها ماء ووجعل على وجه ذلك الماء بساطا ومجلس رجل جليل أو قاض جليل فمن كان على الباطل إذا وقع في ذلك الماء غرق، ومن كان على الحق لم يغرق.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٤]

غزال الصخرة

قال محمد بن منصور بن ثابت إنه زمن سيدنا سليمان كان فوق الصخرة في المدينة المقدسة غزال من ذهب بين عينيه درة أو ياقوتة حمراء تغزل نساء أهل البلقاء على نورها بالليل وهى على ثلاثة أيام منها، وكان أهل عمواس يستظلون بظل القبة إذا طلعت الشمس وإذا غربت استظل أهل الرامة وغيرهم من النور بظلها.

[شمس الدين السيوطى، إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ق ١، ص ١٢٨]

الجنية أم بلقيس

كان أبو (بلقيس) ملكا عظيم الشأن وقد ولد له أربعون ملكا وهى آخرهم، وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف : ليس أحد منكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت اليسكن، فولدت له (بلقيس) ولم يكن له ولد غيرها من الجنية.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٩]

سليمان والهدهد

العقاب عريف الطير

تفقد سليمان الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد ودعا بالعقاب وكان عريف الطير فقال له أين الهدهد ؟ فارتفع العقاب ونظر يمينا ويسارا فلم يره، فعاد وقال: إنه غائب وفى المعنى أنشد بعضهم:

ومن عادة السادات أن ... أصاغرهم والمكرمات عوائد

سليمان ذو ملك تفقد طائرا ... وكانت أقل الطائرات الهداهد

و هدد سليمان بأنه سيعذب الهدهد عذابا شديدا عندما يحضر. قالوا في العذاب: أن ينتف ريشه ويسلمه إلى النمل في القيلولة أو يضعه مع غير جنسه أو يذبحه.

[من رواية ابن إياس لقصة سليمان وبلقيس]

وادى النمل الذي بعسقلان

«ركب سليمان يوما في جيشه جميعه من الجن والانس والطير، فالجن والانس يسيرون معه، والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره. وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة – أي نقباء – يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخرعنه. حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور. لقد فهم سليمان ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأى السديد والأمر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره» وقد روت مصادر كثيرة أن وادى النمل هو بأرض عسقلان في فلسطين والقصة في:

[أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، مكتبة الدعوة بالأزهر، القاهرة، ص ٤٩٢]، [سورة النمل آية ١٨، القرين الكريم]، [الجاحظ، كتاب الحيوان، ٥/ ٣٦٥]، [الراغب الأصفهانى، محاضرات الأدباء، الشرفية، ١٣٢٦ ه، ٢ / ٣٠٥]، [ابن الجوزى، أخبار الأذكياء، ص ٢٥٠]

اساطير باب العمود

من الأساطير حول باب العمود على سور القدس أن القدس هي قلب العالم وأن لها مركزا وتختلف المذاهب في أي المواقع هو مركز القدس. أحدها يقول أن هذا المركز هو كرة بيضاء موجودة في كنيسة القيامة يطلقون عليها بالعامية اسم (نص العالم) والثانى يقول أنه الصخرة الصخرة الشريفة، أما المذهب الثالث فيعتبر (باب العمود)

على سور القدس هو المركز وتقول الاساطير أن خلق العالم بدأ عند باب العمود. وفى العصر الرومانى أقيم عند الباب داخل السور عمود كان الرومان يقيسون إبتداء منه المسافة التي تفصل القدس عن بقية المدن المحيطة بها. وعلى الرغم من أن هذا العمود قد اختفى منذ قرون عديدة فإن العرب ربطوا الباب به حين أطلقوا عليه اسم (باب العمود).

[سالومونى ستيكول، أبواب القدس، مجلة الهلال، عدد ديسمبر ١٩٦٩، فيكتور سحاب، بوابات القدس، ص ١٦٢]

اساطير الساهرة

يعتقد اليهود أن قيامة الموتى ليوم الحساب ستكون عند جبل الزيتون بالقدس الكائن إلى الشرق من سور المدينة المقدسة ولهذا فإنهم أقاموا مقبرة لهم إلى الجنوب من كنيسة الجثمانية على مقربة من جبل الزيتون.

أما المسلمون فيعتقدون بأن الحشر سيجرى على تل خارج السور شمال القدس اسمه تل (الساهرة) وقد سمى أقرب أبواب السور إليه بهذا الاسم. وهو باب يسمى بالانجليزية (باب هيرودوس) وقد بقى الباب شبه مقفل طوال قرون إلى أن أعيد فتحه تماما بعد الاحتلال البريطانى في أواخر الحرب العالمية الأولى وقد عرف الباب باسم (باب الزهور) في حقبة من الزمن واختلطت هذه التسمية الأخيرة باسم (باب الساهرة) وكانت المحصلة النهائية أن سمى الباب في النهاية (باب الزاهرة).

كما أن الباب يعرف بتسمية أخرى هي (باب الغنم) ذلك لأن سوق الجمعة التي كانت تقام عليه أسبوعيا قصرت على بيع المواشى وشرائها بالإضافة إلى اسم (باب القديس أسطفان) الذي أطلق لفترة من الزمن على (باب الزاهرة).

[سالومونى ستيكول، أبواب القدس، مجلة الهلال، عدد ديسمبر ١٩٦٩، فيكتور سحاب، بوابات القدس، ص ١٦١]

أساطير الباب الذهبى

الباب الذهبى على سور القدس المدخل الشمالى منه يدعى (باب التوبة) أما المدخل الجنوبى فيسمى (باب الرحمة). يعتقد اليهود أن قدس الأقداس الذي كان يتخذ الهيكل مستقرا غادره عند هدم (أورشليم) وسلك الباب الذهبى في خروجه من القدس وأنه سيمر من هذا الباب لدى عودته إلى المدينة في عصر (المسيح اليهودى المنتظر) ويعتقد اليهود كذلك بأن الأرواح ستعبر (باب التوبة) للذهاب إلى الجنة، في حين يسلك الآخرون (باب الرحمة) للذهاب إلى النار، ويربط المسلمون اسمى البابين بقصة آدم وحواء، ويؤمن المتدينون من مختلف الأديان السماوية أن هذا الباب سيفتح من جديد عند قيام الموتى للحساب. وللباب الذهبى مكانة خاصة لدى المسيحيين فهم يعتقدون بأن السيد المسيح دخل القدس يوم أحد الشعانين من خلاله من الباب الذهبى حاملين سعف النخل لتخليد تلك الذكرى، وكان قد أصبح الاحتفال يجرى عند باب ستنا مريم بعد ما أقفل الباب الذهبى في أواخر الحروب الصليبية.

[سالومونى ستيكول، أبواب القدس، مجلة الهلال، عدد ديسمبر ١٩٦٩، فيكتور سحاب، بوابات القدس، ص ١٦٥]

اثر ابراهيم

نقلا عن (خسرونامه) فإن في مدينة القدس صخرة يقال إن عليها آثار أقدام وتلك كانت آثار أقدام سيدنا إبراهيم أو ابنه إسماعيل.

[ناصر خسرو، ص ٦٤]

الأثر

من الحقائق التي هي أعجب من الأساطير الصخرة المقدسة تحت قبة الصخرة في القدس. وما يبدو على الصخرة من آثار أقدام البراق الذي حمل الرسول صلى الـه عليه وسلم من مكة المكرمة إلى القدس حيث صلى الرسول بالأنبياء جميعا ثم عرج به إلى

السماء كما هو معروف في قصة الإسراء والمعراج.

[مجلة الهلال، القاهرة، عدد ديسمبر ١٩٦٩، ص ٦٨]

عين الزيت

كان نسل هارون يجيئون إلى مكان الصخرة وكانت تنزل عليهم عين زيت من السماء فتدور في القناديل فتملأها من غير أن تمس وكانت تنزل نار من السماء فتدور على مثال سبع على جبل (طور زيتا) ثم تمتد حتى تدخل من باب الرحمة ثم تصير على الصخرة فيقول ولد هارون: تبارك الرحمن لا اله إلا هو.

فغفلوا ذات ليلة عن الوقت الذي كانت تنزل النار فيه فنزلت وليس هم حضورا ثم ارتفعت النار. فجاءوا فقال الكبير للصغير: يا أخي قد كتبت الخطيئة. أي شيء ينجينا ان تركنا هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج ؟ فقال الصغير للكبير: تعال حتى نأخذ من نار الدنيا فنسرج القناديل لئلا يبقى هذا البيت في هذه الليلة بلا نور ولا سراج، فأخذا من نار الدنيا وأسرجا فنزلت عليها النار في ذلك الوقت فأحرقت نار السماء نار الدنيا وأحرقت ولدى هارون.

[مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان]

بيت المقدس والحوت

الحوت الذي الأرضون على ظهره: رأسه في مطلع الشمس، وذنبه بالمغرب، ووسطه تحت بيت المقدس.

تخرب الأرض كلها وتعمر بيت المقدس. تطهر عين موسى في آخر الزمان بيت المقدس.

[مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ٢٤٠]

العين والبراءة

قال سعيد بن عبد العزيز: كان في زمن بنى إسرائيل في بيت المقدس عين عند عين سلوان، وكانت المرأة إذا قذفت أتوا بها إليها فشربت منها، فإن كانت بريئة لم يضرها وإن كانت غير بريئة طعمت فماتت.

[شمس الدين السيوطى، اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ق ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢١٢]

حماية البيت المقدس

قيل إنه في فترة زمنية معينة كان من يرمى بيت المقدس بنشابة رجعت النشابة إليه.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٤]

بيت المقدس وقدسية المحراب

قيل إنه في فترة زمنية وضع عصا في محراب بيت المقدس فلم يقدر أحد أن يمس تلك العصا إلا من كان من ولد الأنبياء ومن كان سوى ذلك أحرقت يده.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٥]

بيت المقدس والنار الحارقة

قالوا: صنع في بيت المقدس نار عظيمة اللهب فمن عصى الله أحرقته النار حين ينظر إليها. كانت تلك النار في حقبة زمنية معينة.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٤]

السلسلة

من العجائب التي كانت ببيت المقدس: السلسلة التي جعلها سليمان بن داوود عليهما السلام معلقة من السماء إلى الأرض شرقى الصخرة مكان قبة السلسلة الموجودة الآن وفيها يقول الشاعر:

لقد مضى الوحى ومات العلا　　وارتفع الجود مع السلسلة

و كانت هذه السلسلة لا يأتيها رجلان إلا نالها المحق منهما، ومن كان مبطلا ارتفعت عنه فلم ينلها.

وملخص حكايتها مع اختلاف فيه: أن رجلا يهوديا كان قد استودعه رجل مائة دينار فلما طلب الرجل وديعته جحد ذلك اليهودى، فترافعا إلى ذلك المقام عند السلسلة فأخذ اليهودى بمكره ودهائه فسبك تلك الدنانير وحفر جوف عصاه وجعلها فيها، فلما أتى ذلك المقام دفع العصا إلى صاحب الدنانير وقبض على السلسلة ثم حلف لقد أعطاه دنانيره، ثم دفع إليه صاحب الدنانير العصا وأقبل حتى أخذ السلسلة فحلف أنه لم يأخذها منه ومس كلاهما السلسلة فعجب الناس من ذلك فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم لخبث الطويات.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٤]

بيت المقدس وكلبها حارسها من السحر

قيل إنه في فترة زمنية معينة وضع كلب من خشب على باب بيت المقدس، فمن كان عنده شيء من السحر إذا مر بذلك الكلب نبح عليه فإذا نبح عليه نسى ما عنده من السحر.

[مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٥]

بيت المقدس وبابها الرافض لظلم اليهود

قيل إنه في فترة زمنية وضع في بيت المقدس باب فمن دخل منه إذا كان ظالما من اليهود ضغطه ذلك الباب حتى يعترف بظلمه.

مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٥]

الحجر والدم

حكى السري بن يحيى عن أبي شهاب الزهري أن عبد الملك بن مروان سأله ما كان بيت المقدس عند مقتل علي بن أبي طالب، قال: لم يرفع حجر إلا وجد تحته دم. وقيل إن ذلك كان في مقتل الحسين أيضا.

[شمس الدين السيوطي، إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ق ١، ص ٢١٦]

طلسم الحيات

قال الحافظ بن عساكر: قرأت في كتاب قديم فيه: وفي بيت المقدس حيات عظيمة قاتلة، إلا أن الله تعالى قد تفضل على عباده بمسجد على ظهر الطريق أخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كنيسة هناك تعرف بقمامة وفيه إسطوانتان كبيرتان من حجارة على رأسها صور حيات يقال إنها طلسم لها فمتى لسعت إنسانا حية في بيت المقدس لم تضره شيئا وإن خرج عن بيت المقدس شبرا من الأرض مات في الحال ودواؤه من ذلك أن يقيم في بيت المقدس ثلاثمائة وستين يوما فإن خرج منه وقد بقي من العدة يوم واحد هلك.

و ذكر الهروي أيضا نحو هذا في كتاب الزيارات له. قال صاحب مثير الدين محمد بن علي بن عقبة وهو عدل فاضل ثقة إن ذلك اتفق لشخص سماه هو وأنسيت اسمه

كان يلعب بالحيات فلدغته حية فخرج من المقدس فمات وهذا يؤيد ما ذكراه.

قلت: وهذا المسجد معروف وهو بحارة النصارى بالقدس الشريف بجوار كنيسة قمامة من جهة الغرب عن يمنة السالك من درج القمامة إلى الخانقاه الصلاخية والذي يظهر أن طلسم الحيات يطل منه والله أعلم.

[مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ١٢٦]

بيت المقدس في آخر الزمان

تكون الهجرة في آخر الزمان إلى بيت المقدس. والمحشر والمنشر إلى بيت المقدس، والحساب يوم القيامة إلى بيت المقدس الفراط على جهنم إلى الجنة ببيت المقدس، وينفخ اسرافيل في الصور ببيت المقدس.

[مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ٢٤٠]

بيت المقدس قبيل قيام القيامة

عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يضرب على بيت المقدس سبعة أحياط. حائط من فضة، وحائط من ذهب، وحائط من لؤلؤ، وحائط من ياقوت، وحائط من زمرد، وحائط من نور، وحائط من غمام.

[مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، مكتبة المحتسب، عمان، ص ٢٤١]

يوم القيامة وبيت المقدس

عشرات الكتب الصفراء تتحدث عن أساطير العالم قبيل قيام الساعة (يوم القيامة) وتضع هذه الكتب فهارسها عشرات العناوين لأساطير عديدة: خروج

المهدى، خروج الدجال، طلوع الشمس من مغربها، خروج الدابة، الدخان، خروج يأجوج ومأجوج، الريح التي تقبض الأرواح، النار التي تخرج من قصر عدن فتسوق الناس إلى المحشر، نفخات الصور: الأولى والثانية والثالثة وهى نفخة القيامة وغير هذه من عناوين أسطورية وأغلبها يجمع على أن ملك الموت يقف على صخرة بيت المقدس ويضع يمينه على السموات ويده اليسرى تحت الثرى ويصيح بهم صيحة عظيمة، وينفخ صاحب الصور في صوره فلا يبقى انس ولا جان ولا طير أو وحش إلا خر ميتا كما تجمع أغلبها على أن الخلائق تحشر إلى بيت المقدس.

و في (خريدة العجائب) يقول عمر بن الوردى:

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا» قيل هو طلوع الشمس من مغربها. وقالوا في صفة طلوعها من مغربها إنه إذا كانت الليلة التي تطلع الشمس في صبيحتها من مغربها حبست فتكون تلك الليلة قدر ثلاث ليال، قالوا فيقرأ الرجل جزءه ثم ينام ويستيقظ والنجوم راكدة والليلة كما هي، فيقول بعضهم لبعض: هل رأيتم مثل هذه الليلة قط، ثم تطلع من مغربها كأنها علم أسود حتى تتوسط السماء، ثم تعود بعد ذلك فتجرى في مجراها الذي كانت تجرى فيه، وقد أغلق باب التوبة إلى يوم القيامة.

و مما ذكره (ابن الوردى) عن خروج الدابة قوله: قال الله عز وجل: «و إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم». قال كثير من أهل العلم بالأخبار أنها ذات وبر وريش وزغب، فيها من كل لون، ولها أربع قوائم ورأسها رأس ثور، وآذانها آذان فيل، وقرونها قرون أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، وقوائمها قوائم بعير، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، وترفع الأسماء فلا يعرف أحد باسمه، وهى تجلو وجه المؤمن بالعصا فيبيض، وتختم على أنف الكافر فينفش السواد فيه فيقال يا مؤمن يا كافر..

وعن خروج الدجال قال ابن الوردى:

قالت طائفة: يخرج من يهود أصفهان، وقال قوم: يخرج من أرض الكوفة واختلفوا في أتباعه، قالوا: النساء والأعراب والموميسات وأولادهن. واختلفوا في العجائب التي تظهر على يديه، فقال قوم: يدعى الألوهية ويقوم أمامهم بعمل بعض الخوارق فيفتن الناس به ويؤمنون به ويبايعونه. واختلفوا في هيئة حماره فقالوا: ما بين أذني حماره اثنا عشر شبرا وقيل أربعون ذراعا وتظلل إحدى أذنيه سبعين رجلا، ويمكث أربعين صباحا ويقصد بيت المقدس، وقد اجتمع الناس لقتاله فتعمهم ضبابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى بن مريم عليه السلام قد نزل على المنارة البيضاء في جامع بنى أمية فيقتل الدجال.

[خريدة العجائب وفريدة الغرائب، سراج الدين أبى حفص عمر بن الوردى، ط ٢، البابى الحلبى وأولاده، القاهرة، ١٩٣٩، ص ٢٦١ – ٢٦٤]

النجم هادى الطريق

من الأخبار التي هي أعجب من الأساطير أنه عند ميلاد المسيح – عليه السلام – كان ثلاثة من حكماء الفرس يبحثون عن الايمان الصحيح وأرشدهم نجم بازغ في السماء إلى مكان ميلاد المسيح في بيت لحم بالقرب من القدس، فوصلوا بعد الميلاد بقليل. وركع الحكماء أمام الطفل النبى وقدموا هداياهم وأعلنوا إيمانهم.

[مجلة الهلال، القاهرة، عدد ديسمبر ١٩٦٩، ص ٥٣]

يا اليعازر.. قم

من المعجزات التي هي أعجب من الأساطير أن السيد المسيح التقى في طريقه إلى القدس بعدد من المرضى كان منهم الأبرص والأعمى وراح المسيح عليه السلام يبدى معجزاته فشفاهم الله. ووجد المسيح شقيقتين تبكيان أخاهما بعد دفنه. وتوجه المسيح

إلى قبر اليعازر فصاح به: (يا اليعازر قم) فقام الميت مسربلا في كفنه.

[مجلة الهلال، القاهرة، عدد ديسمبر ١٩٦٩، ص ٥٥]

من اساطير مدينة يافا

قيل إن عشتروت الإلهة عبدت في يافا وكانت على شكل امراة نصفها الأسفل من السمك، وبما أنها اعتبرت راعية للصيادين كان يجاور معبدها بركة مقدسة في يافا تحفظ بها الأسماك ووجدت في مدينة عسقلان بركة مماثلة لها لعشتروت أيضا. ويرى (تولكوفسكى) صاحب كتاب تاريخ يافا (the gateway of palestine, a history of jaffa, london,1942) أن البصة وهى موقع منخفض في شمال شرقي يافا تتجمع فيه الأمطار إنما هو موقع تلك البركة في المدينة، كما أننا نجد أثرا من عبادة الإله (داجون) dagon في اسم قرية بيت دجن المجاورة لمدينة يافا، وفى سنة ٣٣٢ ق. م افتتح الاسكندر المقدوني البلاد وأقامت في يافا جالية من أتباع الاسكندر عشقت المدينة إلى الحد الذي ادعت فيه أن مؤسسها هو أحد أبطال المقدونيين وهو (كفيوس) زوج (يوبا) بنت ربة الريح فنسبوها إليها لتشابه الأسماء، وفى أيام المسيح – عليه السلام – زار يافا القديس بطرس وعلى يديه ردت الحياة إلى (تابيطا) وهى من كرامات القديس بطرس وقبرها موجود ومعروف بيافا يزار أي أنه من المزارات في يافا. وبجوار فنار يافا مسجد صغير يقال إنه بنى في مكان المنزل الذي أقام به القديس بطرس أثناء وجوده في يافا وهو المعروف بمنزل (سيمون الدباغ) حيث مارس فيه بطرس بداية مهمته التبشيرية فذهب إلى قيصرية وتنصر عليه قائد الرومان بها.

[فؤاد إبراهيم عباس، العادات والتقاليد في الموروث الشعبى الفلسطيني، دار العروبة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٥٦، ١٥٧]

اسطورة صخرة أندروميدا بيافا

يقال أن مدينة يافا أسسها (يافث بن نوح) فإليه تنسب، ولكن المرجح أن أصل

اسمها (فينيقيا) ومعناه الجميلة ويقال أنها أسست قبل الطوفان على أن ما وجد من الآثار الصوانية في تلالها يدل على أن مكانا كان يوجد مأهولا في العصور الحجرية ولما غزا بنواسرائيل فلسطين سنة ١٤٠٠ ق. م بقيت يافا تقاومهم ولم يأخذوها عنوة إلا بعد أن ضعف سلطان الفراعنة وتقاسم بنواسرائيل البلاد فكانت يافا من نصيب (بنى دان) ولكن لم يستطيعوا البقاء على حكمها طويلا إذ طردوهم منها أهلها ثم أعاد إليها (رمسيس الثالث) أول ملوك الأسرة العشرين من الفراعنة (١١٠٠ ق. م) حياة هادئة ازدهرت بها وتمتعت بقسط وافر من العمران فجعلها حرة لا يملكها رعاياه من الفلسطينيين philistines وهم خلاف الكنعانيين ومن جذور كريتية – نسبة إلى كريت – الذين أقطعهم الشقة الجنوبية بينها وبين حدود مصر، وفى هذا العصر صارت يافا ملتقى للمدنيات في شرق البحر الأبيض المتوسط من فرعونية وفينيقية وإغريقية فتأثرت عقائد أهلها وفنونهم بتلك المدنيات وانتعشت تجارتها وثقافتها كما أنه نسبت إليها بعض الأساطير من ذلك أنه على مدخل ميناء المدينة توجد صخرة قيل إنه ربطت عليها (أندروميدا) andromeda اليونانية بسلسلة.

[فؤاد إبراهيم عباس، العادات والتقاليد في الموروث الشعبي الفلسطيني، دار العروبة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٥٥، ١٥٦]

عين البقر

نقلا عن زكريا القزوينى فإن عين البقر قرب عكا يزورها المسلمون واليهود والنصارى، ويعتقدون أن البقر الذي ظهر لآدم فحرث عليه لأول مرة أخرج من هذا العين وهى العين نفسها التي سماها الفرنسيون بعد ذلك في القرن السابع عشر بعين العذراء مريم.

[فؤاد إبراهيم عباس، العادات والتقاليد في الموروث الشعبي الفلسطيني، دار العروبة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٥٨]

رماد نار هوذة

(هوذة بن مرة الشيباني) من أجواد العرب في الجاهلية كان يمر بديار بيت المقدس متجها إلى (طبرية) ليقضى فصل الشتاء فيها. وفيه يقول (رفاع بن اللجلاج):

ومنا الذي حل البحيرة شاتيا وأطعم أهل الشام غير محاسب

وذكر خير الدين الزركلى أن هناك أسطورة تقول أن رماد نار (هوذة) التي كانت توقد لطعامه باق بالبحيرة.

[الزركلى، الأعلام، ج ٩، ص ١١٢ - ١١٣]

من أساطير الأرض الفلسطينية

سعد دابح

(سعد دابح) تمثل الفترة الأولى من خمسينية فصل الشتاء. رجل عربى من الجزيرة أرسل ابنه إلى الشام وأوصاه إذا داهمه البرد أن يذبح ناقته ويختبئ بها حتى تنقضي موجة البرد فيخرج منها، وعندما أخذ ينتظر رأى أحد المسافرين القادمين من الشام فقال له: هل رأيت ولدى سعدا ؟ فقال له: أجل رأيت سعد دابح.

فعرف الأب أخبار ولده حينئذ. فقال لنفسه: (سعد دابح البرد فيه دابح).

[سليم المبيض، الجغرافيا الفلكية للأمثال الشعبية الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٠١]

سعد بلع

(سعد بلع) تمثل الفترة الثانية من خمسينية فصل الشتاء. سعد خرج من بطن ناقته التي ذبحها في أول موسم البرد الشديد ليحتمي ليحتمي منه لارتفاع الحرارة نسبيا وأخذ يأكل لحمها كما تبتلع الأرض كل ما يسقط من أمطار عليها.

[سليم المبيض، الجغرافيا الفلكية للأمثال الشعبية الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٠٣]

المستقرضات

(المستقرضات) كانت عجوز جالسة أمام بيتها المصنوع من الشعر وأمامها غنماتها فتتخيل أن (شباط) ولى دون أن يحدث شيئا من الخسائر أو الأضرار فتقول متحدية: (راح شباط هذا الخباط ما أخذ منى عنزة ولا رباط) فيرد عليها (شباط) مستغيثا بأخيه (آذار) قائلا: (أخويا يا آذار، أربعة منك وثلاثة منى خلى وادى العجوزة يغنى).لتبدأ من بعدها هذه الأيام السبعة المستقرضات التي استقرض فيها شباط من آذار أربعة أيام في الهبوب رياحا قوية باردة مصحوبة في الغالب بعواصف رعدية وأمطار غزيرة تجرف أمامها عنز العجوز بصغارها. فتقول مثل آخر للتعبير عن ذلك: (شهر شباط لا يخلى عنز ولا زلاط) وزلاط هو مولود العنز الصغير.

[سليم المبيض، الجغرافيا الفلكية للأمثال الشعبية الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٠٥]

شجرة الزيتون

ذهبت الأشجار لتختار عليها ملكا فقالت لشجرة الزيتون املكى علينا. فقالت لها شجرة الزيتون: هل أترك دهنى الذي حبانى به الله وينتفع به الناس وأذهب لكى أملك على الأشجار ؟ !

[سليم عرفات المبيض، الجغرافيا الفلكية للأمثال الشعبية الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٤٠]

زيت الزيتون

وتجد الاعتقاد على قوة زيت الزيتون وتفوقه على السمن في القصة التالية أيضا:

كان لاحدى الزوجات ابن وابن زوج وكان الاثنان راعيين، وفى كل يوم قبل أن يسوقا قطيعيهما للحقول كانت تعطى ابنها الأثير لديها خبزا وسمنا، بينما كان الآخر لا

يتسلم شيئا سوى خبز مغموس في الزيت، وبعد أن ينتهيا من تناول وجبتيهما كانا يمسحان أيديهما بعصا الرعاية وسرعان ما تجوفت عصا الابن المفضل بوساطة السوس بينما تيبست عصا أخيه من أبيه وتقوت.

[د. عيسى المصو، مجلة الفنون الشعبية، عمان، الأردن، عدد ١٢، تشرين ثان ١٩٧٦، ص ٢٤]

السمن والزيت

كان لرجل زوجتان، إحداهما أثيرة لديه والأخرى بغيضة إلى نفسه أما الزوجة الأثيرة وطفلها فكانا يتغذيان بالسمن الصافى ولكن الزوجة المكروهة وطفلها فقد كانا يتغذيان بزيت الزيتون، وكان الطفلان في نفس السن ولاحظت الأمان أنه عندما يتشاجر الطفلان فإن شارب الزيتون يكون هو الأقوى، ولذلك لجأت الأم الحبيبة إلى أحد الحكماء فسألته: لماذا لا يكون طفلى آكل الطعام الجيد هو الأقوى ؟ فأجابها: السمن للزين والزيت للعصبيين. ولا يزال هذا القول مضرب الأمثال حتى يومنا هذا.

[د. عيسى المصو، مجلة الفنون الشعبية، عمان، الأردن، عدد ١٢، تشرين ثانى ١٩٧٦، ص ٢٣]

يا ليل يا عين

تستوعب (العتابا) أغراضا مثل بث الشوق والحزن والتأوه من تقلبات الأيام، ولهذا يبدأ المغنى البيت بقوله: أوف، وهى من التأفف وكذلك قول يا ليلى يا عينى أو يا ليل يا عين. ويقال إن مرد ذلك أن أحدهم تعلق في حب فتاة فقالت له: أنت غير مخلص لى وإذا كنت تدعى بأنك مخلص فاخلع عينك اليمين، ففعل، ثم قالت له: اخلع عينك اليسرى لكى لا يتسنى لك أن ترى امرأة غيرى، وفعل، ولما جاءها بعد ذلك وهو أعمى قالت له: وما حاجتى بك الآن وأنت أعمى ؟ ! وهكذا أخذ يبكى وينوح

ويتضجر مناديا ليله الطويل وعينه، ويعاتب تقلبات زمانه.

[مجلة الفنون الشعبية، نمر سرحان، عمان، عدد ١١، آب سنة ١٩٧٦، ص ٧١]

رواية أخرى عن (يا ليل يا عين)

هناك أسطورة تشرح لنا سبب تسمية (الموال) بهذا الاسم. تقول الأسطورة إن شابين أحدهما يدعى (شهاب) وأما الآخر فيدعى (ليل) وقد عملا في الصيد في مركب واحد يقومان بالعمل من خلاله بالتناوب. وحدث ذات ليلة كانت نوبة (شهاب) للعمل إذ به يرى فتاة تشق الماء وتقفز على مركبه وهي في أكمل صورة من الجمال وتأخذ بمغازلة الشاب (شهاب) وتمنيه بأشهى ما يصبو إليه شاب من مجد وثراء في قصر أبيها ملك الجان وبهت شهاب مما رأى وسمع ولكنه أبى أن يخون صاحبه (ليل) فيرحل مع تلك الجنية بالرغم من إلحاحها المتواصل فقالت له: لا قيمة عند صديقك – ليل – للعهود وسيفرط فيك لدى سماعه أول كلمة مني.. أما أنا فأنا (عين الحياة) ابنة ملك الجان.. ولكنه رفض أن يرحل معها فتركته قائلة: سترى صحة كلامي.

وفى الليلة الثانية حين كانت نوبة (ليل) – للحراسة ظهرت (عين الحياة) وقالت للشاب ما قالته بالأمس لصديقه – شهاب – فوافقها وأخذته واختفيا. وفى اليوم التالى أفاق (شهاب) فلم يجد صديقه (ليل) ولا (عين الحياة) فعرف خيانة صديقه ومن شدة الألم أخذ ينادى: يا عين.. أنت يا عين.. يا ليل.. أنت يا ليل.. ثم أغمى عليه وهو يردد: يا ليل يا عين، يا ليل يا عين، وبمرور الزمن، أصبحت هذه الكلمات للتغنى.

[مجلة الفنون الشعبية، نمر سرحان، عمان، عدد ١١، آب سنة ١٩٧٦، ص ٦٨، ٦٩]

يا ميجنا

سيدة فلسطينية فلاحة اختطفها أحد الأعيان الإقطاعيين في قطاع الجليل من فلسطين وهام زوجها الفلاح الفلسطيني على وجهه يجوب الأرض بحثا عن حبيبته

المختطفة، مرددا (الآهات) والآهات تحولت إلى (أوفات).. ومع أوف أوف.. يا من جنى.. يا من جنى.. ومن خلال النفس المرير الحزين أصبح الذي ردده ذلك الفلاح المنكوب ميراثا شعبيا، إذ ظل الفلاح العربى بعد الفلاح الفلسطينى بشكل عام يردد وراء محراثه (يا من جنى) (يا من جنى) وتندغم الحروف لتصبح: (يا ميجنا) (يا ميجنا) وهكذا آلام وآمال ذلك الفلاح المتضمنة شيئا من الحسرة على حبيبته المختطفة تطورت إلى التعبير عن آلام وآمال الشعب الفلسطينى، ثم آلام وآمال الأمة العربية.

[فؤاد إبراهيم عباس، فنون القول في الموروث الشعبى الفلسطينى، باب الأغنية]

يا ميجنا

يقولون إن سيدة فلسطينية فلاحة اختطفها أحد الإقطاعيين في الجليل بشمال فلسطين، فجاب زوجها القرى والكفور باحثا عن حبيبته التي هرب بها الإقطاعى وكانت آهات الفلاح تتردد في التلال والوديان والسهول والجبال وتحولت إلى (أوفات) ثم إلى كلمات وأصل كلمة ميجنا: (يا من جنى) هذا هو الأصل وهو في العهد العثمانى وقد تطور المدلول بشكل أوسع فالجانى هو الاستعمار التركى ثم الانتداب البريطانى. لقد اندغمت الحروف لتصبح (ياميجنا) بدلا من (يا من جنى) وفى استخدام أوسع يظل الفلاح العربى بشكل عام يردد وراء محراثه (يا من جنى) فالجانى هو الاستعمار بالنسبة لفلسطين وعموم الشعوب العربية.

و المارتينة (يا ميجنا) تتردد في الغزل الشعبى الفلسطينى (ظريف الطول)، (يا غزيل) والإلتصاق بالأرض هو ما يجمع بين هذه الأغانى إنه حب الأرض وما يتفرع منها.

يا ظريف الطول وقف نقول لك
رايح ع الغربة بلادك أحسن لك
خايف يا محبوب تروح وتتملك
وتعاشر الزينات وتنساني أنا

علروزنه

قيل إن شابا أحب فتاة اسـمها (روزه) وكـان يـذكرها في شـعره باسـم (روزنـه) فيقول:

علروزنه علروزنه: كل البلا فيها وقد انتحرت حبيبته عندما رفض أهلها تزويجها منه فقال: وايش عملت الروزنه: الله يجازيها.

وهناك رواية لبنانية تقول: إن كلمة (روزنه) هو اسم لاحدى السفن غير العربية التي كانت تنقل البضائع إلى بيروت في كل عام وذات مرة غرقت السفينة وهي محملة ببضائع التجار فخسروا خسارة جسيمة وقال أحدهم:

علروزنــــــه علروزنـــــــه   كـــــل الـــــبلاد بيهـــــا
و ايـش عملـت بينـه (١) الـسنة   الله يجازيهـــــــــــــا (٢)

[حمودى ابراهيم، مجلة التراث الشعبى، بغداد، عدد ٩، ١٩٧٧]

(١) بينه: بنا

(٢) الأصل لحن عراقى شعبى، ثم لحن عراقى وشامى فلسطينى وسورى ولبنـانى وفى فلسطين يغنى اللحن بالكلمات التالية:

ع الروزنه ع الروزنه كل الهوا فيهـا

وايـش عملـت الروزنـه الله يجازيهـا

يا رايحين ع حلب حبى معـاكم راح

يا محملين العنب فوق العنب تفـاح

كـل مـن عنـده محبوبـة   وأنـــــا حبـــــى راح

يـا ربـى نـسمة هـوا   ترجـــع الولـــف لينـــا

حاجـــة تـــروح وتجـــى   إيـــدك عـــلى خـــدك

تعـــشق بنـــات العـــرب   وفلــــوس مـــا عنـــدك

[المصدر نفسه]

باب الدارون

(أسطورة باب الدارون) باب الدارون يكون يوم السبت فيها هو قبل يوم شم النسيم ويسمى (سبت النور) يأكل الناس فيه البيض مسلوقا مصبوغا بعد أن يلعبوا به لعبة (تطقيش البيض).

وفى النصف الثانى من آذار يخرج الفلاح حيواناته للرعى ويحش لها الحشائش فيقول بخبرته: إن هل الدارون (أى موسم الدارون) اطلق جملك يا مجنون (باعتبار أنك مجنون إذا لم تفعل ذلك فالأرض معشوشبة وفيها مرعى لجملك.

وباب الداروم في غزة هو بابها القديم الجنوبى وكان يسمى (باب الداروم) أي (باب الجنوب) أما بابها الشمالى فكان يسمى (باب عسقلان) وباب الدارون ربما على هذا تكون تحريفا لباب الداروم وفى هذه المنطقة الجنوبية من غزة كان يحتفل أبناء المدينة بموسم الدارون موسم الربيع والبيض.

[سليم المبيض، الجغرافيا الفلكية للأمثال الشعبية الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١١٠]

الأفكار الأسطورية في الشعر الفلسطينى المعاصر

فى دواوين شعرائنا الفلسطينيين يبدو انعكاس الأسطورة على الشعر. وهنا نضع بعض الأمثلة من نماذج شعرية على سبيل الأمثلة لا على سبيل الحصر.

١ ـ محمد القيسى في ديوان (رياح عز الدين القسام) قصيدة (مرثاة العرب البائدة) يبدأ القصيدة بقوله:

«الجرح عميق والنسيان عصى

و الإبريق يطفح، والأحباب الغياب طالت غيبتهم»

و آخرها:

«واليوم أضيع في الربع الخالى أكتب مرثاة العرب البائدة وأكمل أغنيتى»

٢. على هاشم رشيد في ديوان (الطوفان) يبدأ القصيدة التي عنوانها (الطوفـان) – ص ٧٩ – بقوله:

«وأقبل الطوفان

من غير نوح أقبل الطوفان

ما حده الزمان والمكان

لكنما السفينة الحزينة

فى موجة من غير ما ربان»

و فيها يقول:

«فكل من يركبها ربان

القرد فيها يزجر الغزال»

و يختتم الشاعر قصيدته العصماء بقوله:

«مسكينة سفينة الضياع

قد ضاع فوق ظهرها الانسان

قد مزقت شراعها الرياح

و غاب عن طريقها الصباح»

٣. أحمد الريماوى في ديوان (هلت مـن صـبرا عـشتار) فجعـل العنـوان مـستلهما أسطورة (عشتار) وفي قصيدة (إنهض أوزوريس) – ص ٢٣ – وفيها يقول:

«الورد أوزوريس أوسمة الربيع

حورس أنغام الشروق»

و قصيدة (سندباد الروح) ص ١٥، وفيها يقول:

«سندباد الروح في ترحاله ألقى البذار

بث أنغام الحصاد

رحم الأرض ابتسم

بذره لحم ودم

أشرعى الأبواب صبرا

سندباد الروح عاد»

و في ص ٤٠ (هلت من جرحى عشتار) فيقول في ختامها:

«قف يا زمنى

صلى.. في قبو صليب النفى

صلاة الغائب

قبل جرحى الغاضب

وطنى

قمر سرق الضوء

إكتأب الموج

شراع الوصل يضج

نذير القلب يغنى

هلت من جرحى عشتار

قمرى تسبيه الأنوار»

٤. معين بسيسو في (الأعمال المسرحية) – مسرحية (شمشون ودليلة) – ص ٢٠٥ – (عربة) معين في مسرحية يمكن مقارنتها بسفينة نوح فإذا كانت سفينة نوح هي رمز النزوح عن ماء الطوفان فإن عربة معين هي رمز النزوح عن طوفان الطغيان.

«لا أحد يدرى منذ متى العربة واقفة والضوء الأحمر مشتعل، والرجل الواقف لم يرفع يده أو قدمه.. لم يتحرك..

لكن آخر عرافة

قرأت في كف وفي فنجان

أحد الركاب

عين العرافة سقطت في الفنجان

و الكف الممدودة للعرافة قطعت

لم يتنبأ أحد منذ العرافة بضفائرها شنقت

منذ الكف الممدودة للعرافة قطعت»

و فيها يقول:

«النجدة يا ركاب العربة

النجدة يا سكان العربة

أول من بشر بالنور الأخضر

مقتول.. مدفون تحت دواليب العربة

النجدة.. النجدة.. النجدة»

و يستلهم من العربة أخبار (يافا) عروس البحر فيقول:

«كانت يافا ترحل

كان الرعب يبيع تذاكره في السوق السوداء

و عناوين الصحف الأولى في ذاك اليوم

كانت كطيور جارحة تسقط فوق جواد مقطوع الرقبة

كانت يافا ترحل

كانت تلقى في وجه المحتل بآخر ما تملك

تلقى قفازيها

تلقى جلد يديها

تلقى بأصابعها

في وجه المحتل، أصابع بارود

تلقى نهديها قنبلتين وتسقط .

كانت يافا ترحل

و امرأة من يافا كانت ترحل

تحمل طفلا

فوق الصدر وتحمل صرة

و المرأة تعبت.. خافت

كان الرعب يبيع تذاكره في السوق السوداء

و أرادت أن تلقى بالصرة

لكن من هول الرعب الأسود ألقت بالطفل

و احتفظت بالصرة

كان الرعب يبيع تذاكره في السوق السوداء

وفى الأعمال الشعرية الكاملة لمعين بسيسو – دار العودة، بيروت – هناك عناوين أسطورية لكثير من القصائد مثل:

- القمر ذو الوجوه السبعة – ص ٢٩٤
- مصباح علاء الدين إلى صهباء – ص ٢٥٧
- يافا في بطن الحوت – ص ٢٣٨
- كلمات كؤوس لأهل الكهف – ص ٢٣٣
- المصباح والطاحون – ص ١٨٨
- الخيط الذي ينمو في الريح – ص ١٦٣
- البغاء والأفيون – ص ١٢٧

• و في ص ٢٠٨ يقول بسيسو في قصيدة (أسطورة غيلان الثلج):

«غيلان من ثلج

يدفعها الموج

للشاطئ صياد يصرخ:

أين الشمس ؟

لا تفزع

أنا لم أسمع

عن أي سماء

يتخشب فيها الغيم

عن قطرة ثلج

صارت لؤلؤة حمراء

لم أسمع عن نجمة

قد سقطت فحمة

فى نار المرتعش سجين القمة

هى ليست أسطورة

غيلان الثلج المقرورة

بعيون من زلف

و مخالب من رمل

تعدو في الظل

الأسود كالليل

لا تسأل أين الشمس

شمسك في أضلع غيلان الثلج

أطلعها بالفأس

تتفجر والغيلان

تتكسر كالعيدان

من زبد ودخان»

و في قصيدة (الهودج والكلاب) يقول بسيسو:

«شدوا السروج على الكلاب !

الآن وقت الشد يا ملك الرماد

صاحوا وقد حزموا حناجرهم

و فوق رؤوسهم

صهل الغراب!»

و في قصيدة (الاسكندر المقدونى وزهرة عباد الشمس) يقول معين:

«ضاجعها الاسكندر

ضاجعها حتى صياح الديك

ثم عافها

و وهبت إلى ملك

و بعد ليلتين عافها وحملت في هودج

و أهديت إلى أمير»

إلى أن يقول:

«والديك صاح ينعى شهريار

و مرة خامسة يبتدئ المزاد

و شهرزاد
مقطوعة اللسان في شباكها مصباحها
مقصوصة الضفائر
تقول: إنها قد حملت على محفة
لخيمة الاسكندر المقدونى..
و بعدها قد وهبت إلى ملك
ثم إلى أمير
و دارت دورة السرير
فحملت إلى وزير
و ألقيت من بعده لآمر الجنود
ضاجعها.. ضاجعها.. ضاجعها
ثم رمى بها إلى العسس
ثم إلى العسس
ثم إلى العسس

٥. تناول صخر أسطورة (شمشون ودليلة) المشهورة ويعيدها إلى الحياة بقالب جديد

«أيها الحالمون
ضاعت عليكم فرصة العمر
عندما كان شمشمون ضعيفا
أما عرفتم أن في قلبه من الحقد
و البغض لكم
و للشعب ما يجعل الحب حرفا

فى واحة من الأبجدية

كفى أيها الحالمون بالسلم فوق سكوت المدافع

أيها الحالمون

لا تقتلوا الأطفال بالخوف من شمشون

فهو ليس إلا جرة من البعض

حطمتها بحبى لكم.. ولشعبى

و للأرض

٦. و يشير أحمد دحبور إلى شعرة الجنى وتقول أسطورتها أنه يجوز عليها أصحاب الحظ السعيد والطالع المواتى ليحرقوها كلما أصابهم ضيق أو حرج فيحضر حينئذ الجنى لمساعدتهم وتتكرر الأسطورة في الحكايات الشعبية ولكن أحمد دحبور يلاحظ أن الجنى لا يأتى حين يحرق الفلسطينيون الشعرة:

«سنطلب لحمنا لوليمة الجزار والضارى

و نأخذ شعرة من خصلة الجنى

نحرقها ليسعفنا

فلا يأتى

و لن يأتى سوى الفقراء»

[أحمد دحبور، طائر الوحدات، من قصيدة (الدليل) ص ٦٥]

٧. و تستخدم (مى صايغ) قصة (سندريلا) التي يحفظها كل الأطفال:

«وتقول الأسطورة

إن الحلوة نامت والجنية

ضربت بعصاها السحرية

و سعى ابن السلطان يفتش

عن صاحبة القدم العاجية

و تظل الأسطورة

تنمو

تكمل

تنسج آخرها»

[مى صايغ، ديوان (قصائد حب لاسم مطارد) دار العودة، بيروت، من قصيدة (مدينتى والثلج) ص ٥٩]

كما تتناول مى صايغ قصة قابيل وهابيل بدلالات جديدة:

«قابيل حين أولج السكين

فى أخيه

قد فر من عيون ربه

أو ظن أنه يفر

لكننا نراه

لن يمر

لا زلت أحفظ الدماء

[مى صايغ، ديوان (اكليل الشوك) دار الطليعة، بيروت، من قصيدة (لن يمسح الدماء) ص ١٨٠]

٨. ومن قصيدة (يوسف الخطيب): [انهض من جنازتى وامشى] يحدد من عنوانها الإشارة الرمزية لقصة (اليعازر) الذي أحياه (المسيح) بعد الموت، وتتخلل القصيدة عدة رموز مسيحية واضحة:

«وها أنا أساق من مرحلة لمرحلة

أجر ثقل الصليب

و أستحيل حمرة منثورة مجلجلة

خلاص موطنى الحبيب

قل عن الطفل الذي يوسم من حليبه
أوسمنى قتيل حب
بى جسد المسيح موثقا على صليب
فى عالم بدون قلب
يا راجمى شعب فلسطين على ذنوبه
من من منكم بدون ذنب»

٩. فدوى طوقان – المجموعة الكاملة – دار العودة – بيروت – (قصيدة الإله الذي مات) وقصيدة (الطوفان والشجرة) وقصيدة (نبوءة العرافة).

في قصيدة نبوءة العرافة (ص ٥٩٠) تسأل الشاعرة العرافة عن الرياح ماذا تقول الرياح عن الفارس المنذور ولكن الرياح تحذرها من الإخوة السبعة:

«لكنها الرياح في هبوبها
تقول حاذرى
إخوتك السبعة
تقول حاذرى إخوتك السبعة
تقول حاذرى إخوتك السبعة

١٠. الشاعر سميح القاسم – (ديوان سميح القاسم – دار العودة – بيروت) نعثر على عناوين مثل:

- (الخطيئة والوثن) ص ٣١١
- (يهوشع مات) ص ٩٩
- (طفل يعقوب) ص ١٣١
- (من مفكرة أيوب) ص ١٧١
- (عروس النيل) ص ١١٩

و يقول القاسم في قصيدته (أوزوريس الجديد) ص ٥٧٣

«أنا والسيول المستميتة

فى سفرة لا تنتهى.. حتى نعيد إلى الحدائق

حسونها المنفى.. والجذر المترمد في الحرائق !

حتى يشب اللوز والزيتون والتفاح

فى جرح الخنادق !

و يرمم الانسان أنقاض المدارس والمصانع

و تفجر الألغام أنهارا

و تخضر المزارع..»

١١. محمود درويش (ديوان محمود درويش، دار العودة، بيروت) نعثر على عناوين مثل:

- خارج من الأسطورة، ص ٢٨٠ مجلد ١.
- الأغنية والسلطان، ص ٣٨٥ مجلد ١.
- تموز والأفعى، ص ١٧٠ مجلد ١.
- قصيدة الرمل، ص ٤٩٥ مجلد ٢.
- هكذا قالت الشجرة المهملة، ص ٥٧٣ مجلد ٢.

و قصائد أخرى

يقول محمود درويش في قصيدته (خارج من الأسطورة):

«إننى أنهض من قاع الأساطير

و أصطاد على كل السطوح النائمة

خطوات الأهل والأحباب.. أصطاد نجومى القاتمة

إننى أمشى على مهلى وقلبى مثل نصف البرتقالة

و أنا أعجب للقلب الذي يحمل حاره

و جبالا، كيف لا يسأم حاله !

و الغيم على كل الحجارة
و على جيدك يا ذات العيون السود
يا سيفى المذهب
ها أنا أنهض من قاع الأساطير وألعب
مثل دورى على الأرض وأشرب
من سحاب عالق في ذيل زيتون ونخل
ها أنا أشتم أحبابى وأهلى
فيك يا ذات العيون السود.. يا ثوبى المقصب
لم تزل كفاك تلين من الخضرة والقمح المذهب
وعلى عينيك مازال بساط الصحو
بالوشم الحريرى.. مكوكب !
إننى أقرأ في عينيك ميلاد النهار
إننى أقرأ أسرار العواصف
لم تشيخى.. لم تخونى.. لم تموتى
إنما غيرت ألوان المعاطف
عندما انهار الأحباء الكبار
وامتشقنا لملاقاة البنادق
باقة من أغنيات وزنابق !
آه يا ذات العيون السود والوجه المعفر
يشرب الشارع والملح دمى
كلما مرت على بالى أقمار الطفولة
خلف أسوارك يا سجن المواويل الطويلة
خلف أسوارك ربيت عصافيرى
و نحلى ونبيذى وخميلة

و الكثيرون من الشعراء في الانتفاضة الكبرى (ديسمبر ١٩٨٧) صوروا الانتفاضة أسطوريا في قصائد كثيرة مما يعكس عمقا فنيا رفيعا كما في السياق الأسطورى الكنعانى في ملحمة (البعل وعناة) إذ أن بعل إله المطر والعاصفة والزرع تدور بينه وبين (يم) إله الموت معارك طويلة، لكن في النهاية انتصرت الحياة على الموت أي انتصر الإله بعل على الإله يم، ومن خلال العمق الأسطورى تبدت لنا رؤية الشاعر حنا أبو حنا إلى الطفل الفلسطينى (طفل الحجارة) على أنه عملاق ميثيولوجى:

«عملاق يخرج من وهج الميثيولوجيا

يتحدى أنياب القرن العشرين

بأسلحة العصر الحجرى

عملاق يشهر للظالم مقلاع إرادته

[حنا أبو حنا، ديوان: تجرعت سمك حتى المناعة، حيفا، مطبعة الوادى، ١٩٩٠، قصيدة (حنظلة الخير) ص ٥٦]

و هذه قصيدة للشاعر الفلسطينى (يوسف أبو لوز) جعل عنوانها (أوجاريت):

«لكأنهم رحلوا على عجل

إلى التفاح

أو تركوا ثياب الحرب للمرآة

قلبى قشرة لإجاصة الأنثى

و في جسدى حقول من دماء

إنى استندت على ذراعى

و استندت على الهواء

يا أيها القروى

و الشكل النهائى الذي لم ينطفئ في الماء

هنا نلثم الدرج القديم

و نجرح المنفى

و نسأل هذه الأرض التي تركوا على جدرانها

أسمائهم

و نعيد شكل القامة الأولى

لهذى الأرض

رائحة تغطى البحر

تلوى عنقه

و تكسر الموجات

أرض ملحها في القلب

فى خجل البنات

و في عظام الكرمليين

استندت على هواء من جذورى

أوجاريت

أراك ساكنة كما صبرا

و أراك يا بعض القديم مدينة أخرى

و أراك خضرا، ثم خضرا، ثم خضرا

يا أوجاريت

هل جاءك العربى في زى السياحة

آلة التصوير

قبعة

و تذكار من الولد الذي في الباب

يشرح عن دمى
كل الذي ينساه قومى
أوجاريت
أراك لست بعيدة عن أختنا بيروت
لست بعيدة عن صورة في البيت
هل رحلوا ؟
و هل رحلوا من الشياح ؟
أم قتلوا ضحى
فى غابة التفاح
هل كانوا هنا لأقول دلينى على نبع
تسلق حائط الشهداء
هل كانوا هنا لأقول جئت إلى شذاى
لأقول جئت إلى دمى المسكوب في ورده
يا موجة كسرت على موجه
دلى خطاى إلى خطاى
دلى فمى لفمى
و قلبى للزغاريد القصية
و الأغانى للمحبين القدامى
دلى الهواء إلى الخزامى
دلى الرصاص على عدوى ألف مرة
و خذى دمى ليفور في أيقونة الثورة

و خذى دمى

يا أمنا الحرة

يا أمنا الحرة»

[مجلة بيادر، دائرة الثقافة، م. ت. ق، عدد ٣، خريف ١٩٩٠، ص ٧٩ – ٨١]

ظاهرة الرمز والأسطورة في الأمثال الشعبية الفلسطينية

فى الفلكلور وعند كثير من الشعوب العريقة تحتوى الأمثال أحيانا على الرمز وأحيانا على أعلى مراتب الرمز وهو الأسطورة، والأمثال الشعبية الفلسطينية لا تخلو من الرمز سواء كان هذا الرمز شبه واضح أو خفيا تماما ومن ذلك نورد بعض الأمثلة:

(١) القول أو المثل: (ابن آدم أسود راس) أي أن ابن آدم إنما جبل على البطش وهذا رمز إلى قصة (قابيل وهابيل).

(٢) المثل: (يا صبر أيوب !!) إشارة إلى قصة النبى أيوب.

(٣) المثل: (إجت على الكرزم) و(الكرزم) من الفخ ما يثبت فيه الطعم الذي يتناوله الطائر بمنقاره فينفلت من مكانه وينطبق الفخ على رقبته والمعنى يرمز إلى أن الظروف جاءت مواتية تماما.

(٤) المثل: (البسة رطلين، واللحم رطلين، والداهية منين) رمزا إلى قصة أشبه بالنادرة.

(٥) المثل: (بين حانا ومانا ضاعت إلحانا).. إلحانا = لحياتنا = لحانا وضاعت إلحانا كناية عن الخراب والخسارة والدمار ـ حانا ومانا = جاريتان كان الخطأ المستمر والشر يأتى منهما باستمرار معا فنحن بهما ومعهما كأننا بين المطرقة والسندان.

و من الأمثال الأخرى الشبيهة بهذا المثل مما له صلة بالقص الشعبى أو الحكايات الشعبية المثل الذي يقول: (جوزوا مشكاح لريمة والاثنين ما عليهم قيمة) والمثل الذي يقول: (عادت ريمة لعادتها القديمة) والمثل الذي يقول: (يا طاقة ارزقينى ارقاقة)

وكذلك الأمثال عن الحيوان المرتبطة بقصص مثل: (تاب أبـو الحـصين وراح الكتـاب وحط المسابح برقبته، وقال: يا باب الله) ويقال المثل للذى يتظـاهر بـالتقوى لحاجـة في نفسه والمثل كما هو ظاهر مرتبط بقصة من قصص الحيوان، فأبو الحصين ادعى التقـوى والتوبة عن إيذاء الدجاج والأرانب والحيوانات الصغيرة وصيدها ويـدأ يقـضي وقـت فراغه في تحصيل العلم في الكتاب وفي وضع المسابح في رقبته - كناية عن صـفة التـدين والنسك والعبادة - لكن حقيقة الحال أنه يقول: يـا بـاب الله ! مـؤملا أن تقـترب منـه الدجاجات في هذا الحال الذي هو عليه ويطير عنها خوفها وفزعها منه فينقض عليهـا ويفترسها. وكالمثل الذي يقول: (الصيت لأبو زيد والفعل لذياب بن غـانم) وهـو مـن الأمثال التي ترمز إلى سيرة شعبية بمعنى ان الفضل ينسب إلى غـير مـستحقيه أحيانـا. وكالمثل الذي يقول (كأنك يا أبو زيد ما غزيت) وهو أيضا يرمز إلى جزئية مـن الـسيرة الشعبية ويقال عندما لا تستقر النتائج والأحوال عند الناس. وكالمثل الذي يقول: (لـو البكا «أى البكاء» يقيم «كليب» بكينا واستأجرنا بكايين) وكالمثل الذي يقول: (هيـك مزبطة بدها هيك ختم) رمزا إلى موضوع سياسى تهكمى. وكالمثل الذي يقول: (هـاى الجمل وهاى الميذنة) أي المئذنة.

(٦) (الدنيا وجوه وأعتاب ونواصى) وفى هذا المثل إشارة إلى التفاؤل أو التـشاؤم من مقدم زوجة على الزوج في بيته أو فرس يقتنيها أو سكنى دار جديدة.

(٧) (أعمص وبيتجعمص، وبيشرب من راس القادوس) والقـادوس هـي التـي يتساقط فيها ماء البئـر وهـى التـي تـدور بالاسـتعانة بالـدواب لا بـالموتورات وراس القادوس فيه الماء النقى العذب الزلال، والمعنى: أن هذا الأعمص يـصر عـلى الظهـور والشرب من الماء الصفو وهو رمز إلى الوجاهة، وقديما قال الشاعر:

ونـشرب إن وردنـا المـاء صـفوا ويـشرب غيرنـا كـدرا وطينـا

(٨) ومما يدلل على أسطورة ما يقوله المثل الشعبى: (خير يا طـير) وهنـا أسـطورة نقل الطيور للأخبار. وغير ذلك من عشرات الأمثال.

في الحديث عن السيرة العربية والأساطير تواجهنا دائما حقيقة هي أن السيرة العربية خلت من وجود الآلهة المتعددة المتصارعة أو الآلهة والأبطال الذين تساندهم الآلهة أي أنه يمكن القول أن السيرة العربية خلت من الأساطير ولكن بعض السير العربية تضمنت صراع الأبطال مع الجن والإنس ومساندة بعض الجن للأبطال كما نلاحظ هذا في (سيرة سيف بن ذى يزن) الذي حارب الإنس والجن بتأييد من السحرة الجن والإنس حتى أجرى النيل وجمع البلاد ووحد الأقطار ونشر دين الله الواحد القهار(١).

من جهة أخرى تبرز حقيقة هي أنه إذا كانت السيرة العربية قد خلت من الأساطير فإنها لم تخل تماما من البعد الأسطوري ونحن نستطيع ملاحظة غلبة الابتداع على الحقيقة التاريخية في النص كما في السيرة الهلالية (٢) التي يحكونها وأبرز ملامح هذه الظاهرة توجد في التجاوزات توجد في التجاوزات الزمانية والمكانية للحكاية وفي مفارقات تاريخية تنقل نواة الواقع التاريخي للأحداث من حيزها الوقائعي إلى البعد الأسطوري وهذا البعد الأسطوري غير مقبول أصلا إلا على صعيد الركون إلى الخيال المتوافق مع الأحلام البشرية الرامية إلى جعل الأبطال نماذج رفيعة للجماعة، لهم القدرة على تجاوز حدود القدرات الآدمية من أجل تحقيق كل المراد المطلوب وهذا الخلط الزماني المنسرح يعيد تركيب الأحداث القومية للأمة بالشكل الذي يخدم رواية السيرة ولا يحرص في ذلك على التمسك بالحقائق التاريخية (٣).

و يبرز في السيرة الهلالية عدة أبطال هم قادة الهلالية تقسم مكاسب الحرب عليهم وهم أبو زيد الهلالى سلامة قائدها، و(حسن) سلطانها و(دياب) سيد بنى زغبة و(بدير) القاضى، و(فزيدان الزغبى) حامى حمى البيض، وتجمع الرواة على أن التجمع الهلالى القائم بين القيسية الممثلة في بنى هلال واليمنية الممثلة في بنى زغبة إنما يقوده

رجلان هما أبو زيد الهلالى، ودياب الزغابى. وتبرز السيرة منافسة بين أبى زيد ودياب وفى المقابل يبرز في السيرة الهلالية من (زناتة) الغرب: خليفة، ومعبد، والعلام، ولم يكن هؤلاء يمثلون حلفا وكان هناك صراع بين خليفة والعلام (٤).

و وردت (فلسطين) في تغريبة بنى هلال في رحلة أبى زيد الهلالى سلامة الاستكشافية إلى تونس الخضراء ومعه مرعى ويحيى ويونس مرورا بفلسطين ومصر، فقد وصل أبو زيد ورفاقه إلى مكة فصلوا في المسجد الحرام وداروا حول الكعبة ثم غادروها إلى العراق ثم دمشق فمكثوا فيها أياما ثم توجهوا إلى بيت المقدس حيث أقاموا يومين كاملين ومنها ساروا إلى غزة، فتونس.

و ذكرت فلسطين أيضا في زحف بنى هلال على تونس لتخليص مرعى ويحيى ويونس من أسر الزناتى خليفة لهم بالإضافة إلى طلب الأرض الخصبة فمروا بالشام وفي الشام قاتلوا حاكمها (شبيب التعبى) وكانت الحرب سجالا رجحها لصالح بنى هلال مقتل (الصحصاح) أخى (شبيب) و(شبيب) قبله وبقتلهما احتل بنوهلال المدينة وأعطى (الأمير حسن) أمير بنى هلال أهلها الأمان بعد ذلك ووضع (الأمير حسن) الأمير (صقر بن شبيب) مكان أبيه في الحكم بعد أن عاهده على الطاعة واتجه بنو هلال بعدها إلى بيت المقدس حيث زاروا الأماكن المقدسة وغادروها إلى غزة. واستبسلت غزة واستعصت على بنى هلال ولولا وقوع حاكمها (سركسى) في الأسر لما تمكنوا منها وأعطى (الأمير حسن) أهل غزة الأمان وأطلق سراح (سركسى) بعد أن قال له: «العفو عنك إذا حفظت الشرائع الملوكية وهى: أوصيك بمحبة الله وحفظ شرائعه ووصاياه مادمت على قيد الحياة، ولا تكن لجوجا في الكلام، ولا مدمنا للشرب، بل حافظا لزمام الاحتشام ومتخلقا بأخلاق الكرام مع الخاص والعام، متجنبا كلام الهزء والهزيان واقيا نفسك عثار اللسان، لأن صدور الأسرار قبورها فمن صان سره ملك أمره ومن باح لم ينجح وزاد ندمه». وغادر بنو هلال غزة إلى مصر، فتونس.

و يمكننا القول إنه بالإضافة إلى تواجد فلسطين في تغريبة بنـى هـلال فـإن هنـاك انعكاس البعد الأسطورى في السيرة الهلالية على الأدب الفلسطينى أيضـا.

و ينقل الباحث الفلسطينى الفولكلـورى (عمـر عبـد الـرحمن الساريـسى) عـن إحدى العجائز في ريف بيت المقدس أخبار بنى هلال وهم يعبرون فلسطين من (مـرج ابن عامر) المفضى إلى (حيفا) وما حدث لزوجة أبى زيد الهلالى سلامة واسمها (عليـة) من إخراج من الركب الظاعن وعودة زوجها من تونس ليبحـث عنهـا. وقـد جعلـت عنوان هذه الحكاية شطرة من بيت شعر يرد فيها: (قطعن الهلاليات مـرج ابـن عـامر) وقد ذكر شاعر الأرض المحتلة (توفيق زياد) أن (قطعن النصرويات – أي بنات مدينـة الناصرة – مرج ابن عامر) مشهورة جدا في تلك المنطقة ويعرفهـا الجميـع وهـذا إن دل على شيء فإنما يدل على تحلل سيرة بنى هلال في أنحاء فلسطين إلى حكايات شعبية حية (٥).

(١) لدى مقارنة (إلياذة هوميروس) عند اليونـان مـثلا بالـسير الـشعبية عنـد العـرب نلاحظ:

- كلاهما وصف البطولات.
- كتبت الإلياذة في أوقات متلاحقة وكتبت السير العربية في أوقـات مـن الـصعب تحديدها تحديدا دقيقا.
- الإلياذة احتوت على الأسطورة مباشرة والسيرة العربية لم تحتوى على الأسـطورة مباشرة وإن كانت لم تخل من شيء من البعد الأسطورى.

(٢) يسمى القسم الثالث من السيرة الهلالية - وهى من أقسام ثلاثـة – باسـم (تغريبـة بنى هلال) وهو أهم قسم من الأقسام الثلاثة وما هو قبل تغريبة بنى هلال (بدايـة رحلة أبى زيد الهلالى سلامة وأبناء أخته الثلاثة: مرعى ويحيي ويـونس إلى تـونس) إنما هو تمهيد للتغريبة.

(٣) إبراهيم إسحق إبراهيم، السيرة الهلالية بين التاريخ والأسطورَة محاولة في التحليل المقارن، مجلة المأثورات الشعبية، السنة الخامسة، العدد العشرون، أكتوبر ١٩٩٠، الدوحة، قطر، ص ١١.

(٤) د. أحمد شمس الدين الحجاجى، الزناتى خليفة بطل المغارب والراوى الشعبى المصرى، مجلة الفنون الشعبية، عدد ٣٠ يناير ١٩٩٠، ص ٧٦- عدد ٣١ يونيو ١٩٩٠، ص ٧٧، القاهرة.

(٥) عمر عبد الرحمن الساريسى، أصول الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطينى، مجلة التراث الشعبى - العراقية، عدد ٥، السنة الثانية، ١٩٧٧، ص ٤٠.

تشابك جذور الأساطير في تراث الحضارات الكنعانية والبابلية واليونانية والمصرية

بالنسبة لليونان ما دمنا نتحدث عن فجر الحضارة - زمن جذور الأساطير - فالأصح أن نستخدم عبارة (المنطقة الإيجية) بدلا من (بلاد اليونان) أو (الإغريق) أو حتى (هلاس) حيث نجد في المنطقة الإيجية (المكينيين) وقبلهم (المنيويين). وبفضل سيطرة (المكينيين) على جزيرة قبرص امتد نشاطهم التجارى شرقا إلى الساحل الشمالى لسوريا حيث تقع (أوجاريت) ugatit (١) - رأس شمرا - حاليا، وهذا الميناء عرفه المكينيون منذ القرن الخامس عشر ق. م وأسسوا فيه مستعمرة تجارية هامة في القرن الثالث عشر ق. م كان قوامها مهاجرون (أخيون) من قبرص حيث اكتملت حضارة نفذ تأثيرها إلى بقاع في آسيا وفي مصر وصدرت من المدينة اوانى فخارية وأسلحة برونزية وتماثيل عاجية وأدوات زينة، ومد (المكينيون) وقبلهم (المنيويون) نفوذهم من الشمال إلى الجنوب فوصلوا إلى (بيبلوس) byblos - جبيل الحالية - في فينيقيا ولقت تجارتهم رواجا في المنطقة الساحلية الممتدة من بيبلوس إلى خليج عكا وأنشأوا مستودعات بضائع في (تل أبو حرام) بالقرب من يافا والمكان هذا متصل بطرق القوافل التي كانت تمتد عبر الصحراء إلى أرض الجزيرة، كما كشفت معاول الأثريين

عن آنية فخارية ومكينية الصنع في القطاع الساحلي الذي أصبح فيها بعد موطنا لقبائل فلسطين النازحة من كريت إلى الجزء الجنوبي من فلسطين وحيث مراكز (عسقلان) و(تل العجول) على مقربة من غزة وفى أماكن أخرى داخل جنوب فلسطين وتغلغل المد الحضاري المكينى حتى بلغ (أريحا) وكان هذا التغلغل الحضاري العميق موازيا للتغلغل في (أوجاريت) مع ملاحظة أن القطاع الفلسطيني الذي امتد إليه تأثير المكينيين كان يقع حينئذ تحت حماية الفراعنة كما كان النفوذ المصري قد تمكن من الساحل الفينيقي خاصة (جبيل) حيث كان يصدر منها الأخشاب إلى مصر (٢).

من كل هذا نستطيع أن نفهم مدى فعالية التأثر والتأثير بالنسبة للحضارة ومنها الأساطير والمعتقدات بشكل عام بين أرض كنعان وبلاد اليونان ومصر إلى الحد الذي نجد فيه صلة قرابة ونسب أو تشابكا بين الأساطير والمعتقدات في كل هذه الأقطار.

من ذلك أن الإلهة (أفروديت) أو (أفروديتى) عرفت بعشترت لدى (الكنعانيين) ويرد اسمها في التوراة بعشترت أو عشتاروت وهى عندهم ربة الخصب كما هي عند كل شعوب الشرق القديم: (خصب الأرض وخصب المرأة) وبالتالي ربة الحب إذ كانت ترمز لاستمرار الحياة عن طريق التناسل وكانت عشتروت إلهة للحرب في الوقت نفسه وتصور في الأدب والفن القديم متعطشة إلى الدماء ويسرها تذبيح الرجال وكانت متقلبة الأهواء كثيرة العشاق الذين كانت تدنيهم منها ثم تقصيهم عنها فتعذبهم أو يلقون مصارعهم بسببها. وكان عشيقها البارز الذي هامت به هو الإله السومري (دموزى) وهو البابلي (تموز) الذي كان على ما يبدو فتى وسيما غض الإهاب ودموزى (تموز) كلمة سومرية بمعنى (ابن المياه العذبة الحقة) أي ابن الأرض التي أخصبتها المياه العذبة وكان دموزى (تموز) من أشهر آلهة الخصب والنبات وحمل اسمه أحد شهور السنة عند السومريين واستمر هذا الاسم في التقويم الأكرى وفى وقت لاحق عند الآراميين والعرب فكان تموز هو الشهر الرابع من السنة التي كانت تبدأ عندهم بأبريل (نيسان) وقد عرف تموز عند الفينيقيين باسم (أدون) وهى كلمة بمعنى

سيد في الفينيقية والأوجاريتية وكانت مدينة جبيل تعبده بهذا الاسم (أدون) بوجه خاص وكان قد قتله خنزير بري فبكته عشترت بحرقة أبكت معها كل النساء واستمررن يبكين عليه كل عام إذ ساد الاعتقاد بأن أدون كان ينزل إلى أرض الموتى كل خريف سنويا فيذبل النبات ولهذا كن يبكينه ليعود إلى سطح الأرض مع بداية الربيع حيث يزهر النبات من جديد. وكان من بين ألقابه الغالبة عندهم (حبيب عشتر) و(حبيب ملكة السماوات) وكثيرا ما كان ينادى بأدونى أي (يا سيدى) و(الراعى) و(سيد البستان). (٣)

ومن الأمثلة الأخرى أنه كما كان في بلاد اليونان ما يسمى (نبوءة أبولون) في معبد (دلفى) فقد كان للإله المصري (آتون) نبوءة أيضا في الواحة المعروفة قديما بواحة (آمون) والتي تعرف حاليا بواحة (سيوة) وقد اكتسبت هذه النبوءة شهرة واسعة في العالم الهللينى ويشير إليها شعراء المسرح الإغريقى في القرن الخامس ق. م وقد تكبد الاسكندر الأكبر مشقة كبيرة لكي يزورها ويستشير الإله في مشروع حملة عندما غزا مصر (٣٣٢ - ٣٣٠) ق. م وفى سوريا كانت توجد مراكز للنبوءة لآلهة يونانية أو آلهة شرقية شبهت بالآلهة اليونانية (٤) وليس غريبا أن يكون قد وصل هذا الأثر إلى البقاع التي فيها كنعانيون و(أبولون) هو ابن (زيوس) كبير الآلهة في بلاد اليونان ولد بجزيرة (ديلوس) وقد سبقته أخته التوأم (ارتميس) ربة الصيد بيوم واحد (٥).

و هناك أمثلة أخرى واضحة تدلل على وشائج القرابة والمصاهرة بين الآلهة اليونانية والآلهة الفينيقية فمن كلمة فينيقيا جاءت كلمة (فونيكس) – phoenix – وهو ابن (أجينور) الذي هرب (زوس) كبير الآلهة مع أخته (يوروبا) وكان (أجينور) قد أرسل (فونيكس) مع أخوته للبحث عنها وأن لا يعودوا إلا بها وأقام في فينيقيا التي استمدت اسمها من اسمه. و(يوروبا) هي ابنة (فونيكس) أو (أجينور) الفينيقى و(تيليفاسا) telephassa زوجة (أجينور) ووالدة يوروبا وفونيكس و(كادموس)

cadmus ابن (أجينور) الفينيقى و(تيليفاسا) (٦) وربط البعض بين اسم مدينة يافا واسم (يوبا) الإغريقية بنت ربة الريح وهذه مجرد أمثلة.

أما الرباط الموثق العرى بين مصر القديمة وفلسطين فقد ظهر على أشكال عديدة قوية تنبئ وتؤكد على وحدة الشعبين منذ أقدم الأزمنة، كان المصريون يحترمون صخرة (أندروميدا) في يافا والهكسوس جعلوا الإله المصري (ست) يعادله الإله الكنعاني (بعل) وجعلوا (ايزيس) تعادلها (البعلة) وأدخلوا (عناة) إلى قائمة الآلهة التي يقدسونها وكان اللاهوتيون الكنعانيون قد تحمسوا للإصلاح التوحيدي الذي أعلنه (اخناتون) حين دعا إلى الإله (آتون) وهو الإله الذي قاتلوا بلا شك بينه وبين الإله (إيل) لا باعتباره إلها أسمى فحسب بل باعتباره إلها واحدا لجميع الشعوب ومنذ الأساس أخذ الكنعانيون عن أهل مصر بعض جزئيات من أسطورة الطوفان وإن كان أساسها من بابل، من تلك الجزئيات أسطورة الغراب لما عاد إلى نوح على سفينة الطوفان وتغير لون العنب الذي بيد نوح من أبيض إلى أسود وغير ذلك كثير. وبالنسبة للحضارة البابلية فالمعروف إن الكنعانيين نقلوا كثيرا من العناصر البابلية مثل أسطورة الطوفان وملحمة جلجامش وأخذت التوراة عن العبرانيين جزئيات كثيرة. قال جيمس فريزر في كتابه (الفولكلور في العهد القديم) – ترجمة د. نبيلة ابراهيم، ج١ ص٢٠٧ – إن الحكاية العبرية لطوفان نوح تعد بلا شك مستقاة من الرواية البابلية المأخوذة عن الرواية السومرية وكانت قصة الطوفان الكبير قد دخلت أيضا في نسيج ملحمة جلجامش – المصدر نفسه ص ١٠١ – وقد لاحظ فريزر وجوه الشبه بين الحكايتين البابلية والعبرية. إن الرواية البابلية لا يمكن أن تكون مستمدة من الرواية العبرية بما يقرب من أحد عشر أو إثنى عشر قرنا وفضلا عن ذلك فإن الحكاية العبرية تقضى بأن يكون البلد المشار إليه في الحكاية قابلا لحدوث الفيضانات مثل (بابل) الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في أن الحكاية نشأت أصلا في بابل ثم انتقلت بعد ذلك إلى

فلسطين – المصدر نفسه ص ١١٥ – كيف أخذ العبريون هذه الحكاية عن بابل ؟ إنهم أخذوها فيما أخذوا عن الكنعانيين بعد أن استقروا في فلسطين والمعروف أن الكنعانيين نقلوا فيما نقلوا كثيرا من عناصر الحضارة البابلية مع استبعاد أن يكون العبرانيون أخذوها مباشرة عن بابل ذلك لأن ركائز الحضارة – خاصة المعتقدات – تؤخذ عند الاستقرار وليس قبله كما عودتنا أحداث التاريخ وعلى هذا النسق فإن أسفار التكوين الأحد عشر الأولى تنتمي بكاملها إلى الثيولوجيا الكنعانية المتوارثة مباشرة من الحيثيين والبابليين.

و مثل آخر نورده لإثبات أن التوراة في جزئياتها متأثرة بالأصول الكنعانية هو تقديس الأشجار التي هي عند مقامات الأولياء والقديسين والمقام استخدمت له كلمة عبرية إشارة إلى أماكن الكنعانيين المقدسة التي أمر بنو إسرائيل بتخريبها وتقع فوق قمم الجبال وفوق التلال وتحت كل شجرة خضراء يضاف إلى هذا الكثير من العادات الوثنية التي نقلت إلى التوراة مثل: إيذاء الجسم حزنا على الميت والأخذ بالثأر بصرامة واستخدام الأجراس الذهبية ومثل هذا كثير في (العهد القديم) (٧) فالتوراة ليست تراثا عبريا بقدر ماهى تراث كنعاني.

(١) أوجاريت الكنعانية: وكلمة كنعانية أعم من كلمة فينيقية فالفينيقيون هم من الكنعانيين.

(٢) د. عبد اللطيف أحمد على، التاريخ اليوناني – العصر الهلادى – دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٧٧١، ٧٧٢.

(٣) د. عبد اللطيف أحمد على، التاريخ اليونانى – العصر الهلادى – دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ج١، ص ٢٧٩ – ٢٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(٦) أمين سلامة، معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانيـة، مؤسسة العروبة للطبـع والنـشر والإعـلان، القـاهرة، ط ٢، ص ١٤٨ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٧) جيمس فريزر، الفولكلور في العهد القديم، ترجمة: نبيلة إبراهيم، ج١، ج٢ - فؤاد إبراهيم عباس، العادات والتقاليد في المـوروث الـشعبي الفلـسطيني، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة بالاشتراك مع الدائرة الثقافيـة بمنظمـة التحرير الفلسطينية، ط ١، ١٩٨٩.

ملحق الكتاب

نماذج من جذور عربية من شبه جزيرة العرب

هبل (كبير الآلهة)

كبير الآلهة في الجاهلية وكان أعظم أصنام العرب في جوف وحولها وكان أول من نصبه في الكعبة خزيمة بن مدركة المضرى وكانت تضرب عنده القداح.

[كتاب الأصنام للكلبى، ط٢، ص ٢٥، دار الكتب، ١٩٢٤]

و ذكر الأزرقي أن عمرو بن لحى قدم به من هيت بأرض الجزيرة.

[قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلى، عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجة، دار مصر للطباعة، ص ٢١٢]

و كان هبل رمز الشمس عند عبادها من الصابئة. أما صنمه فكان عظيما منحوتا من العقيق الأحمر محاطا بثلاثمائة وستين صنما كلها أصغر حجما منه وكان لكل يوم من أيام السنة صنم واحد منها وكان هبل ممثلا بهيئة شيخ جليل طويل اللحية حطمت يده اليمنى فأعاضه عنها عباده القريشيون يدا من ذهب وكان يحمل في تلك اليد قداحا سبعة (سهام الحظ) لكل من أيام الأسبوع قدح منها وعنده ضرب عبد المطلب القداح على ابنه عبد الله.

[المصدر نفسه ص ٢١٢]

و لفظ هبل أصله فينيقى (هبعل) ومعنى (بعل) السيد والهاء للتعريف وأهمل حرف العين للتخفيف في اللفظ فهو إذن (بعل) عند الفينيقيين والكنعانيين و(بل) بإهمال العين عند الكلدانيين وعرب الجاهلية.

[جورجى زيدان، أنساب العرب القدماء]

قداح هبل

كان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم (هبل) وكان من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب وكان أول من نصبه (خزيمة بن مدركة) وكان في جوف الكعبة وكان قدامه سبعة أقدح مكتوب في أحدها (صريح) وفى الآخر (ملصق) فإذا شكوا في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج (صريح) ألحقوه في نسبهم وذهب عنهم شكهم في المولود وإن خرج (ملصق) دفعوه وكانوا إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده، وهو الذي قال له (أبو سفيان) يوم معركة (أحد) أعل هبل – أي علا دينك يا هبل – فقال رسول الله (ص) لأصحابه: ألا تجيبونه ؟ فقالوا: وما نقول ؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل.

[الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، تلبيس إبليس، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص ٥٧]

العزى

لقريش شجرة كانت تعبد وقربها صنم منصوب.

[الأغاني لأبى الفرج، ج ٤، ص ١٥٢، حاشية ١]

وروى أنها كانت شيطانة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إليها (خالد بن الوليد) لما افتتح مكة وكانت ببطن نخلة فأتاها فإذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يدها على عاتقها تصرف بأنيابها، فضربها خالد بسيفه ففلق رأسها ثم أتى النبي فأخبره فقال: «تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب. أما إنها لن تعبد بعد اليوم»

[الأصنام للكلبي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٢٧– ٢٨]

مناة

صنم لهذيل وخزاعة كان منصوبا على ساحل البحر الأحمر بقديد وهى الآن قرية

بين مكة والمدينة وكانت الأوس والخزرج أيضا تعظم الإله مناة.

[أحمد كمال، مجلة المقتطف، ٢٣- ٥٠٥]

و اتفق أكثر الرواة على أن مناة كانت صنما لا حجرا يذبح عليه وقيل أدخلها بادية الحجاز عمرو بن لحى فهي آلهة مستوردة وإن أصلها بابلي حيث كان في بابل إله المـوت (مامناتو)mamnatu.

[الأساطير العربية قبل الإسـلام، ص ١٢٨، محمـد عبـد المعيـد خـان، القـاهرة، ١٩٣٧]

اللات

اسم صنم كان في الجاهلية لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وقد هدمها المغيرة بن شعبة بعد أن سخر من أهلها حين أسلمت ثقيف سنة تسع من الهجرة، وقيل أن اللات أو (الطاغية) تسمى في الهيروغليفية (اللات) ويرمز بها إلى الحصاد والنمـو لأن معناهـا الرضاعة وكلمة (اللاتو) allatu وردت في الأدب البـابلي قبـل ثلاثـة آلاف سـنة عـلى اعتبار أنها ملكة الموت هناك.

[قصة الأدب في الحجاز، مصدر سابق، ص ٢١٤]

ود

ود صنم لبنى كلب كان تمثال رجل ضخم متزرر بحلة ومرتد بحلـة ثانيـة تنكـب قوسا وعليه سيف وبين يديه حربة وجعبة فيها نبل.

[الأصنام للكلبى، ص ٥٦]

قزح

قزح صنم يحافظ على عبادته عرب الجاهلية بقرب مكة

[قصة الأدب في الحجاز، ص ٢١٥]

ذو الخلصة

ذو الخلصة عبده أهل السراة قيل إنه بيت أو صنم بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت سدنته بنو أمامة.

[الأصنام للكلبى، ص ٣٤ – ٣٦]

ويرى الزمخشرى أن ذا الخلصة كان صنما لا بيتا وقال الحافظ بن حجر: ذو الخلصة اسم للبيت الذي فيه الصنم. وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة وكان العرب يستقسمون عنده بالأزلام ولما خرج امرؤ القيس الشاعر يطلب ثأر أبيه استقسم عنده فخرج له ما يكره فسب الصنم ورماه بالحجارة وأنشد:

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا   مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا

و قيل كان بأسفل مكة صنم يحمل هذا الاسم أيضا فكان يسمى (الخلصة) وكان عرب الجاهلية يهدون إليه الشعير والحنطة ويصبون عليه اللبن ويذبحون له ويعلقون عليه بيض النعام.

[قصة الأدب في الحجاز، ص ٢١٦ – ٢١٧]

الزهرة وسهيل

أما الزهرة وسهيل فهما نجمان وليسا صنمين أشار إليهما الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير

[الرسائل ص ٢٧ – ٢٩]

الزهرة في أساطير العرب كانت امرأة عاهرة فمسخت نجما وصعدت إلى السماء أما سهيل فكان عشارا في اليمن وبسبب ذلك مسخ نجما وصعد إلى السماء.

قال السمرقندى أنهما لم يبقيا في السماء وإنما ألقيا فيما بعد في جهنم ذلك لأن جابى

الضرائب ظالم للناس وأخس من العاهرة، وتعليقنا أنهما حتى لو وصلا إلى منزلة نجوم الليل الرخيصة فالأرواح في جهنم وبئس القرار.

ود يشرب اللبن

على زعم أهله

قال (الكلبى) صاحب كتاب (الأصنام): حدثنى (مالك بن حارثة) أنه رأى صنم ود، قال وكان أبى يبعثنى باللبن إليه ويقول: إسق إلهك فأشربه من اللبن. قال رأيت خالد بن الوليد بعد كسره ودا إذ جعله جذاذا – قطعا صغيرة مكسرة – وكان رسول الله (ص) قد بعثه من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه (بنوعبد ود) يقال له (قطن بن سريح) فأقبلت أمه وهو مقتول وهى تقول:

ألا تلك المودة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم

ولا يبقى على الحدثان عفر له أم بشاهقة رؤوم

ثم قالت:

يا جامعا جامع الأحشاء يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت.

قال الكلبى: فقلت لمالك بن حارثة: صف لى ودا حتى كأنى أنظر إليه. قال: كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دير أي نفس عليه حليان متزرر بحلة مرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء وفضة فيها نبل يعنى جعبتها.

[الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، تلبيس إبليس، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص ٥٤]

آلهة البيوت

كان لأهل كل واد من مكة صنم في دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان

آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به ومنهم من اتخذ بيتا ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجرا مما استحسن ثم طاف به وسموها الأنصاب وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربا وجعل الثلاثة الأخرى لقدره وهى الأثافى.

[الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، تلبيس إبليس، مكتبة المتنبى، القاهرة، ص ٥٩]

اسطورة أساف ونائلة

حدث (الكلبى) صاحب كتاب (الأصنام) أن أصل (أساف) رجل من (جرهم) اسمه (أساف بن يعلى) وأصل (نائلة) فتاة اسمها (نائلة بنت زيد) من جرهم أيضا وكان أساف هذا يتعشق نائلة في أرض اليمن، فأقبلا حجاجا إلى مكة حيث أصنام العرب فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعها فعبدتها خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب.

قالوا: مسخا حجرين كان أحدهما ملصقا بالكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان ملصقا بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما.

[الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، تلبيس إبليس، مكتبة المتنبى، القاهرة، ص ٥٨]

من الأفكار الأسطورية

اسطورة الهامة

كان العرب في الجاهلية يعتقدون أن الرجل إذا قتل خرجت روحه من جسده على هيئة طائر يدعى (الهامة) يظل يطوف على قبر القتيل قائلا: اسقونى اسقونى، لا يهدأ حتى يؤخذ بثأره وفى ذلك يقول الشاعر الجاهلي ذو الإصبع العدواني:

يــا عمــرو إن لم تــدع ذمــي ومنقــصتي

أقتلــك حتــى تقــول الهامــة اســقوني

فلما أشرقت على الجزيرة العربية شمس الدين الحق جاء قـول الرسـول (ص) في الحديث الذي رواه البخـارى لا عـدوى ولا طـيرة ولا هامـة ولا صـفر، ليبطـل هـذا الاعتقاد.

[العرف في مجتمع بدوى ومجتمع قروى، عبـد العزيـز رفعـت عبـد العزيـز، مجلـة المأثورات الشعبية، السنة الخامسة، العدد العشرون، أكتوبر ١٩٩٠، الدوحة، قطر، ص ٥٩]

الدبران والثريا

تقول العرب: إن الدبران خطب الثريا وهما نجمان وأراد القمـر أن يزوجـه فأبـت عليه وولت عنه وقالت للقمر: ما أصنع بهذا الذي لا مال له، فجمـع الـدبران قلاصـه يتمول بها فهو يتبعها حيـث توجهـت يـسوق صـداقها قدامـه، يعنـون القـلاص، وإن الجدى قتل نعشا فبناته تدور بـه تريـده وإن سـهيلا ركـض الجـوزاء فركـضته برجلهـا فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها، وإن الشعرى اليمانية كانـت مـع الشعرى الشامية ففارقتها وعبرت المجرة فسميت الشعرى العبـور فلـما رأت الـشعرى الشامية فراقها إياها بكت عليها حتى غمصت عينها فسميت الشعرى الغميصاء.

[أبو الفضل أحمد الميدانى، مجمع الأمثال، ج٣، البابى الحلبـى وشركـاه، القـاهرة، ص ٤٠٨]

النار عند العرب

النار عند العرب أربع عشر نارا وهي نار المزدلفة توقد حتى يراها من دفـع بعرفـة وأول من أوقدها قصى بن كلاب، ونار الإستسقاء كانوا في الجاهلية إذا تتابعت علـيهم السنين الجدبة جمعوا ما قدروا عليه من البقر وعلقوا في أذنابها وعراقيبها العشر والسلع

ثم صعدوا بها في جبل وعر وأضرموا فيها النار ثم عجوا بالدعاء فيرون أنهم يمطرون بذلك. ونار التحالف كانوا لا يعقدون الحلف في الجاهلية إلا إذا أوقدوا نارا بينهم يطرحون فيها حجارة الكبريت والملح فإذا إشتاطت قالوا: هذه النار قد هددتك فاحلف. ونار الغدر كانوا إذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى في أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان. ونارالسلامة توقد للقادم من سفره غانما. ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم إذا أحبوا أن لا يرجع إليهم ذلك الزائر أو المسافر أوقدوا خلفه نارا وقالوا: أبعده الله وأسحقه. ونارالحرب وتسمى نار الأهبة يوقدونها إلى نشز عال لمن بعد منهم. ونار الصيد يوقدونها للظباء لتعشى أبصارها، ونار الأسد كانوا إذا رأوا أسدا أوقدوا نارا فإذا رآها حدق إليها وتأملها فيذهبون، ونار السليم توقد للملدوغ إذا سهروا معه والمجروح إذا نزف ومن الكلب فيوقدونها حتى لا يناموا، ونار الفداء كانت ملوكهم إذا سبوا قبيلة وطلبوا منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن، ونار الوسم التي يوسم بها إبل الملوك لترد الماء أولا، ونار القرى وهي أعظم النيران عندهم ليراها المسافر من بعد فيهتدى عليها إلى بيوت الحى برسم البيات والقرى، نار الحرتين وهي التي أطفأها الله بخالد بن سنان العبسى احتفر لها بئرا ثم أدخلها فيها والناس ينظرون إليه ثم اقتحم فيها حتى غيبها وطلع سالما فهذه جملة نيران العرب العرباء والجاهلية.

[جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ط ٤، ١٩٥٦، البابي الحلبي، القاهرة، ص ٢١٣]

الشهور العربية

سمي شهر رجب بنهر في الجنة اسمه رجب يشرب منه صوام رجب وقيل لترجب الأشجار يقال رجبت الأشجار أي أورقت، كذلك المؤمن يورق فيه بالطاعة.

وسمي شعبان لأنه يتشعب فيه خير كثير وقيل لأنه شاع ذكره وبان أمره فهو مركب من شاع بان.

و رمضان مشتق من الرمض وهو أن يحترق الرجل من شدة الحر لأن فرض صيامه نزل في شهر الحر فلزمته الإسمية ولم تنتقل بانتقاله كما سميت سائر الشهور بمعان في وقت التسمية ثم لزمت وجمع رمضان رمضانات ورماض وأرمضة على حذف الزوائد.

و المحرم سماه العرب بالاسم لأنهم حرموا فيه القتال.

و سمى صفر بهذا الاسم لأن البيوت كانت تصفر فيه لخلوها من أهلها حيث كانوا يخرجون للغزو.

أما جمادى فسمى كذلك لتجمد الماء فيه من البرد الشديد.

و سمى شوال بهذا الاسم لأن الإبل كانت فيه تشيل أذنابها طلبا للتكاثر أو التناسل.

وفى ذى القعدة كان العرب يقعدون فيه في دورهم، وفى ذى الحجة كانوا يحجون.

و قيل إن ربيع سمى بهذا الاسم بسبب ارتباع الناس فيه أي استقرارهم.

[جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ط ٤، ١٩٥٦، البابي الحلبي، القاهرة، ص ١٤٠، ١٤١، ٢٧٤]

البروج

البروج لها شهور. الحمل: له برمودة، الثور: بشنس، الجوزاء: بئونة، السرطان: أبيب، الأسد: مسرى، السنبلة: توت، الميزان: بابه، العقرب: هاتور، القوس: كيهك، الجدى: طوبة، الدلو: أمشير، الحوت: برمهات.

[جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ط ٤، ١٩٥٦، البابي الحلبي، القاهرة، ص ٢٨٢]

الغراب

عن عكرمة قال: كنا جلوسا عند ابن العباس وابن عمر فطار غراب يصيح فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن العباس: لا خير ولا شر. والذي حضرنا من الشعر في مثله لأبى الشيص:

ما فرق الأحباب بعد الله إلا الإبل
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل
ولا إذا صاح غراب في الديار ارتحلوا
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل

وقال آخر:

أترحل عمن أنت صب بمثله ... وتلحى غراب البين انك تظلم
أقم فغراب البين غير مفرق ... ولا يأتي إلا على الفصل يحكم

و قال آخر:

غلط الذين رأيتهم بجهالة ... يلحون كلهم غرابا ينعق
ما الذنب إلا للجمال فإنها ... مما يشتت شملهم ويفرق
إن الغراب بيمنه يدنى النوى ... وتشتت الشمل الجميع الأنيق

و قال آخر:

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه ... إلا كوادب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم ... مضللون ودون الغيب أقفال

[أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، ط١، ١٩١٢، البابى الحلبى بالأزهر، القاهرة، ص ٥٣]

العرب وكعب الأرنب

كان عرب الجاهلية يعلقون على أنفسهم كعب الأرنب ويقولون إن من فعل ذلك لم تصبه عين ولا سحر وذلك لأن الجن تهرب من الأرنب لأنها ليست من مطايا الجن لأنها تحيض.

[نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٢٣]

فصل في ترتيب الجن

إن العرب تنزل الجن مراتب فإن ذكروا الجنى قالوا: الجن. فإن أرادوا أنه يسكن مع الناس قالوا: عامر والجمع: عمار.

فإن كان ممن يتعرضون للصبيان قالوا: أرواح.

فإن خبث وتعرم – أي اشتد أذاه قالوا: شيطان. فإن زاد على ذلك قالوا: مارد.

فإن زاد على القوة قالوا: عفريت.

فإن طهر ونظف وصار خيرا كله فهو ملك.

[أبو منصور الثعالبى، فقه اللغة وسر العربية، البابى الحلبى، القاهرة، ص ١٥٥]

العرب البائدة

بقيت من شعوب عربية أسماؤها ومجرد حكايات أسطورية من حضاراتها مثل عاد وثمود وطسم وجديس وجاسم وعبيل وعبد ضخم وجرهم الأولى والعمالقة وحضورا.. وقد ورث العرب قبل الإسلام حكاياتها وعباداتها وربما أضافوا إليها أو طوروا فيها ولكننا على أية حال لا نعرف عن هذه الشعوب العربية البائدة إلا ما ظل مترسبا في أخبار العرب وحكاياتهم من القحطانيين من سلالة قحطان – من نسل نوح – والذين كانوا يسكنون جنوب الجزيرة العربية حيث انتشر أولاد قحطان أو (يقطان) – كما يطلق التسمية سفر التكوين في التوراة – فسكنوا حضرموت وعمان كما سكن جرهم الحجاز.

الطواغيت

كانت العرب قد اتخذت من الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها وتنحر عندها وهى تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت تعرف أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده.

طارت بهم العنقاء

قال الخليل: سميت عنقاء لأنه كان في عنقها بياض كالطوق ويقال لطول في عنقها، قال ابن الكلبى: كان لأهل الرس نبى يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له (دمخ) مصعده في السماء ميل وكانت العنقاء تنتابه طائرة كأعظم ما يكون لها عنق طويل من أحسن الطير فيها من كل لون وكانت تقع منتصبة فكانت تكون على ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكله فجاءت ذات يوم وأعوذت الطير فانقضت على صبى فذهبت به فسميت (عنقاء مغرب) بأنها تغرب كل ما أخذته ثم أنها انقضت على جارية فضمتها إلى جناحين لها ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم فقال: اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آفة فأصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلا في أشعارها وأنشد لعنبرة بن الأخرس الطائى في مرثية خالد بن يزيد:

لقد حلقت بالجود فتخاء كاسر　　　كفتخاء دمخ حلقت بالجزور

الجزور: الرابية المرتفعة

[أبو الفضل أحمد الميدانى، مجمع الأمثال، ج ٢، البابى الحلبى وشركاه، القاهرة، ص ٢٨٠]

طال الأبد على لبد

كانت نسور لقمان بن عاد تعمر طويلا جدا فيعيش الفرخ خمسمائة سنة تقريبا وكان عددها سبعة نسور فإذا مات واحدا أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا السابع الذي سماه (لبدا) وكان أطولها عمرا فضرب العرب به المثل فقالوا: طال الأبد على لبد.

قال الأعشى يتحدث عنه:

فعمــر حتــى خــال أن نــسوره   وهــل تبقــى النفــوس عــلى الــدهر

و قال النابغة:

أضحت خلاء وأضحى أهلهـا احتملـوا

أخنـى عليهـا الـذي أخنـى عـلى لبـد

قال أبو عبيدة: هو لقمان بن عاديا بن لجين بن عاد بن عوص بن إرم بـن سـام بـن نوح ولقد خير بين بقاء سبع بعرات سمر من أظباء عقر في جبل وعر لا يمـسها القطـر وبين بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الأبعار واختـار النـسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له: يا عم ما بقـى مـن عمـرك إلا عمـر هـذا ؟ فقـال لقمان: هذا لبد، ولبد بلسانهم الدهر، فلما انقضى عمر لبد رآه لقمان واقعا فناداه: انهـض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات، ومات لقمان معه، فضرب به المثل فقيـل: (طال الأبد على لبد)، (أتى أبد على لبد).

[أبو الفضل أحمد الميدانى، مجمع الأمثال، ج٢، البابى الحلبـى وشركـاه، القـاهرة، ص ٢٨٠]

زرقاء اليمامة

يقولون: (أبصر من زرقاء اليمامة) واليمامة اسمها وبها سمى البلد وذكـر الجـاحظ أنها كانت من بنات لقمان بن عاد وأن اسمها (عنز) وكانت هـي زرقـاء وكانـت الزبـاء زرقاء وكانت البسوس زرقاء، قال محمد بن حبيـب: هـي امـراة مـن جـديس – يعنـى زرقاء – كانت تبصر الشئ من مسيرة ثلاثة أيام، فلما قتلت جديس طـسما خـرج رجـل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم ورغبه في الغنائم فجهـز إلـيهم جيشا فلما صاروا من (جو) – اسم لناحية اليمامة – عـلى مـسيرة ثلاثـة ليـال صـعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا

عليها، فقالت يا قوم قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير فلم يصدقوها، فقالت: على مثال رجز أقسم بالله لقد دب الشجر أو حمير أخذت شيئا يجر فلم يصدقوها، فقالت: أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخصف النعل فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم فأخذ الزرقاء فشق عينها فإذا فيهما عروق سود من الإثمد وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب وهى التي ذكرها النابغة في قوله:

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت

إلى حمام سراع وارد الثمد

[أبو الفضل أحمد الميدانى، مجمع الأمثال، ج ١، البابى الحلبى وشركاه، القاهرة، ص ٢٠٠]

مجير ام عامر

كان من حديثه أن قوما خرجوا إلى الصيد في يوم حار، فإنهم لكذلك إذ عرضت لهم أم عامر وهى الضبع فطردوها واتبعتهم حتى ألجأوها إلى خباء أعرابى فاقتحمته فخرج إليهم الأعرابى وقال: ما شأنكم ؟ قالوا: صيدنا وطريدتنا فقال: كلا والذي نفسى بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفى بيدى، قال: فرجعوا وتركوه وقام إلى لقحة فحلبها وماء فقرب منها فأقبلت تلغ مرة في هذا ومرة في هذا حتى عاشت واستراحت؛ فبينما الأعرابى نائم في جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وتركته فجاء ابن عم له يطلبه فإذا هو بقير في بيته فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقال: صاحبتى والله ! فأخذ قوسه وكنانته وأتبعها وأتبعها ولم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول:

و من يصنع المعروف مع غير	يلاقى الذي لاقى مجير أم عامر
أدام لها حين استجارت بقربه	لها محض ألبان اللقاح الدرائر
و أسمنها حتى إذا ما تكاملت	فـر بـه بأنياب لها وأظافر

فقل لذوى المعروف هـذا جزاء بـدا يـصنع المعـروف في غـير

[أبو الفضل أحمد الميداني، مجمع الأمثال، ج ٣، البابى الحلبى وشركاه. القاهرة، ص٢٥، ٢٦]

تفاعل الأسطورة والفكر الأسطورى مع الأدب العربى

هنالك ينابيع كثيرة من ألوان الأدب تصب كلها في الأسطورة والفكر الأسطورى وتتفاعل معها وقد أتحفتنا كتب التراث العربى بصور عديدة صادقة يتجلى فيها انعكاس الأساطير على الأدب العربى من شعر ونثر.

ونحن هنا نعرض مجموعة نماذج من الأدب العربى يظهر من خلالها ما يؤكد ذلك كما أن هناك نصوصا أدبية معينة يستشف منها بذاتها أفكارا أسطورية نورد هنا النماذج على سبيل الأمثلة لا الحصر:

(١) شياطين الشعر: قالوا عن شيطان الأعشى (مسحلا) وإن اسم شيطان امرئ القيس هو (لافظ بن لاحظ) وإن اسم شيطان عبيد بن الأبرص (هبيد) وقد بقيت هذه العقيدة إلى ما بعد الإسلام ويعلق البصير على ذلك: «حالة فريدة تعترى الشاعر تجعله مضطربا لا يستقر إلا إذا عبر عنها أي عن الحالة بقصة أو قصيدة أو برسم أو بصورة لقد عبر القدماء عن ذلك فقالوا بأنها شيطان الشعر وأطلقوا على إحساس شعرائهم أسماء سموها كما قالوا عن شيطان الأعشى وشيطان امرئ القيس وشيطان عبيد بن الأبرص.. إلخ

وورد أن الفرزدق كان يرى أن للشعر شيطانين يدعى أحدهما (الهوبر) والآخر (الهوجل) فمن انفرد به (الهوبر) جاد شعره وصح كلامه، ومن انفرد به (الهوجل) فسد شعره، يقول أبو النجم عن نفسه:

إنى وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

فـــما يرانـــي شـــاعر إلا استـــتر		فعـل نجـوم الليـل عـاين القمـر

[عبد الرزاق البصير، نظرات في الأدب والنقد، كتاب العربى، الكتاب ٢٨، يوليو ١٩٩٠، ص ١٠٣]

(٢) الشاعر الشنفرى الجاهلى:

قال الشاعر الشنفرى الجاهلى:

ومرقبة عنقاء يقصر دونها		أخـــو الـــضروة الرجـــل الحفـــى

وعنقاء هنا صفة للمرقبة (مكان مراقبة العدو وهو بشكل برج المراقبة) بمعنى عالية أو مرتفعة.

عنقاء بهذا المعنى مأخوذة من طائر العنقاء الأسطورى وهذا مثل واضح من استفادة اللغة من الأساطير.

(٣) الشاعر الجاهلى تأبط شرا: تأبط شرا اسمه ذاته أسطورة فهو ثابت بن جابر من أشهر من قال الشعر في الغيلان وإنما سمى تأبط شرا لأنه لقى الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له (رحى بطان) في بلاد (هذيل) فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها حتى قتلها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له: لقد تأبطت شرا..

(٤) أفكار أسطورية في شعر تأبط شرا:

أورد الشاعر الجاهلى (تأبط شرا) أفكارا أسطورية في قصيدته التي أكد فيها للغول أنه زميل لها فهو أخو سفر وترحال ولكنه دخل في صراع معها للدلالة على شجاعته وبسالته ويصف رأسها في قصيدته بأنه كرأس الهر وساقيها كساقى طفل كسيح وقحف رأسها كالكلب وهذا يشبه المخلوقات الإنسانية الحيوانية التي ترد في أساطير الإغريق التي تركب من أجساد الحيوان والإنسان معا والقصيدة التي نحن بصددها أولها:

الأمـــن مبلـــغ فتيـــان فهـــم		بـــما لاقيـــت عنـــد رحـــى بطـــان

و فيها:

وإني قد لقيت الغـول تهـوى بسهب كالصحيفة صحـصحان

فقلـت لهـا كلانـا نـصو أيـن أخـو سـفر فخـلى لي مكـاني

فشدت شدة نحـوى فـأهوى لهـا كفـى بمـصقول يـماني

إلى أن يقول:

إذا عينـان في رأس قبـيح كـرأس الهـر مـشقوق اللـسان

وسـاقا مخـدج وثـواة كلـب وثـوب مـن عبـاء أو شـنان

و لتأبط شرا أيضا قصيدة أخرى يصف فيها لقاءه بالغول وتغلبه عليها وأولها:

تقـول سـلمى لجاراتهـا أرى ثابتـا يفنـا حـوقلا

(٥) أول الترجيع في الجاهلية:

قبل أن ترتقى عقول العرب ومداركهم بمزاولة الفنون التي ترافق الحضارة لم تكن موسيقاهم سوى الحداء يحدون به إبلهم التي يعيشون من ألبانها ويكتسون من أوبارها وعلى أثر سقوط (مضر بن نزار) عن البعير انكسرت يده فجعل يقول: (يا يداه. يا يداه) وكان أحسن الناس صوتا فطربت الإبل لنغمة ذلك الصوت وجدت في سيرها فوضعوا أن ذلك شعرا من (الرجز) وجعلوه للحداء فكان قول الحادى:

يـا هاديـا يـا هاديـا يـا يـداه يـا يـداه

و الحداء أول الترجيع في الجاهلية والحادى يدرك لأول وهلة عندما يقيم ميزان لحنه متمثلا بقول (دريد بن الصمة):

سيرى على رسلك سير الآمن سيرى رداحا ذات جان ساكن

إن إنثنائى دون عزمـى شـائن وبلى بلائى واصبرى وعـاينى

فتمد الإبل أعناقها وترفع رؤوسها وتنظم خطواتها وتسرع في سيرها.

[عبد الكريم العلاف، الطرب عند العرب، بغداد ١٩٦٣، ص ٢، ٣]

(٦) من أدب الجاحظ: نبح الكلاب السحاب:

الكلب إذا ألحت عليه السحائب بالأمطار في أيام الشتاء لقى جنة (أى جنونا) فمتى أبصر غيما نبحه لأنه قد عرف ما يلقى من مثله وفى المثل «لا يضر السحاب نبح الكلاب» فقال الشاعر:

ومالى لا أغزو وللدهر كرة　　　وقد نبحت نحو السماء كلابها

يقول: قد كنت أدع الغزو مخافة العطش على الخيل والأنفس

فما عذرى اليوم والغدران كثيرة ومناقع المياه موفورة

والكلاب لا تنبح السحاب إلا من إلحاح المطر وترادفه وقال الأفوه الأودى في نبح الكلاب السحاب وذلك من وصف الغيم:

له هيدب دان ورعد ولجة　　　وبرق تراه ساطعا يتبلج

فباتت كلاب الحى ينبحن　　　وأضحت بنات الماء فيها تعمج

(بنات الماء: السمك – تتعمج: تسبح أو تتثنى)

[الجاحظ، الحيوان، ج ٢، ٧٣]

(٧) المثل العربى: أغدر من ذئب:

كانت أعرابية تتجول في بطن الصحراء فعثرت في أثناء تجوالها على جرو ذئب صغير لا يجد من يطعمه ويرعاه بل يكاد يموت جوعا وعطشا في تلك النيافى المقفرة فما كان منها إلا أن عطفت عليه وحملته إلى دارها للإبقاء على حياته وكانت عندها شاة حلوب فأرضعته من ثدى الشاة وأخذت في تدفئته ورعايته رعاية كاملة واستمرت الحال على هذا المنوال حتى كبر الجرو واشتد عوده وأصبح ذئبا مرهوب الجانب وحدث في أحد الأيام أن خرجت الأعرابية من دارها لأمر ما ولما عادت وجدت الشاة مقتولة والذئب يلتهم منها ما يشاء وما أن وقع بصرها على هذا المشهد حتى أخذت

تصرخ وتولول وتبكى شاتها القتيلة ببعض الأبيات الشعرية التي نالت بعد ذلك شهرة واسعة وتلك الأبيات هي:

بقــرت شــويهتى وفجعــت قلبــى | وأنــــت لـــشاتنا ولـــد ربيـــب
غـــذيت بـــدرها وربيـــت فينـــا | فمـــن أنبـــاك أن أبـــاك ذيـــب
إذا كـــان الطبـــاع طبـــاع ســـوء | فلـــيس بنـــافع فيهـــا الأديـــب

(٨) سهيل:

قال المتنبى:

وتنكـــر مـــوتهم وأنـــا ســـهيل | طلعـــت بمـــوت أبنـــاء الزنـــاء

سهيل نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوبـاء في الأرض وكثـر المـوت والزنـا ومعنى البيت: من العجائب أن تنكر موت حسادى وأنـا الطـالع علـيهم بمـوتهم كـما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسدا لى.

[ديوان المتنبى، شرح عبد الرحمن البرقوقى، دار الكتاب العربى، بـيروت، لبنـان، ج ١، ص ١٤٠]

(٩) الجوزاء:

قال المتنبى:

أنـــا صـــخرة الـــوادى إذا مـــا | وإذا نطقـــت فـــإننى الجـــوز اء

صخرة الوادى في العادة صلبة بـما يتعاورهـا مـن الـسيول والجـوزاء مـن أبـراج الفلك، يقول: إذا زوحمت لم يقدر على إزالتى عن موضعى كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت في علو المنطق كالجوزاء.

وقال الواحدى: ويقـال إن الجـوزاء بيـت عطـارد فيكـون المعنـى: منـى تـستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولد فيها البراعة والنطق.

[ديوان المتنبى، ج ١، ص ١٤٣]

(١٠) الطيف:

قال المتنبى:

دار الملـــم لهـــا طيـــف تهـــددنى لـــيلا فـــما صـــدقت عينـــى ولا كـــذبا

أى هذا الربع هو دار التي ألم طيف لها، يقول: إن هـذا الربـع هـو دار المـرأة التـي زارنى لها طيف أوعدنى ليلا أي هددنى بالهجر فما صدقت عينى لأنها رأت خيـالا لأن ذلك كان رؤيا ولا كذب الطيف في تهديده لأنه هجرنى بعد ذلك إذ لم أنم بعدها. فمن هي هذه التي هام بها وزاره طيفها ؟! إنها أعرابية بأوصاف:

مظلومـــة القـــد في تـــشبيهه غـــصنا مظلومـــة الريـــق في تـــشبيهه ضربـــا

يقول: هي مظلومة القد إذا شبه بالغصن لأنه أحسن منه وهى مظلومـة الريـق إذا شبه بالعسل لأنه أحلى منه.

[ديوان المتنبى، ج ١، ص٢٣٧ ، ٢٣٨]

(١١) عنقاء مغرب:

قال المتنبى:

أحـــن إلى أهـــلى وأهـــوى لقـــاءهم وأيـــن مـــن المـــشتاق عنقـــاء مغـــرب

قال ابن الكلبى: كان لأهل الرس نبى يقال له حنظلة بن صفوان وكـان بأرضـهم جبل يقال له دمخ تنتابه طائر أنثى لها عنـق طويـل تقـع في العـادة منقـضة عـلى الطـير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبى فذهبت به فسميت عنقاء مغربا لأنها تغرب بكـل ما أخذته وهى طائر ضخم جدا وحدث أيضا أنها انقضت على جارية وليدة طارت بهـا فشكوا إلى نبيهم فدعا عليها فسلط الله عليهـا آفـة فهلكـت فـضربتها العـرب مـثلا في أشعارها، يقولون: ألوت به العنقاء المغرب وطارت به العنقاء: يريدون هلاكه أو ذهابه إلى حيث لا يرجع فمن الشعر:

ولـــولا ســـليمان الخليفــة حلقــت　　بــه مــن يــد الحجــاج عنقــاء مغــرب

ومغرب: من أغرب في البلاد أي ذهب وابتعد

وفى بيت المتنبى تشوقه إلى أهله وبعده عنهم بحيث لا يرجو لقاءهم.

[ديوان المتنبى، ج١، ص ٣٠٧]

(١٢) أسطورة الطوفان:

قال المتنبى:

و خـــشيت منــك عـــلى الـــبلاد　　مـــا كـــان أنـــذر قـــوم نـــوح نـــوح

يقول: لو كنت غيثا لخشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه وهنا إشـارة إلى أسطورة الطوفان.

[ديوان المتنبى، ج١، ص ٣٧٨]

(١٣) زواج النجوم:

قال المتنبى:

عمـــرك الله هـــل رأيـــت بـــدورا　　طلعـــــت في براقـــــع وعقـــــود

و قال عمر بن أبى ربيعة:

أيهـــا المـــنكح الثريـــا ســـهيلا　　عمـــــرك الله كيـــــف يلتقيـــــان

عمـرك الله: أي أطـال الله عمـرك. والبيتـان فـيهما إشـارة إلى زواج النجـوم في الأساطير.

[ديوان المتنبى، ج ٢، ص ٣٩]

(١٤) الشعرى:

قال المتنبى:

متى ما يشر نحو السماء بوجهه　　تخـر لـه الـشعرى وينخـسف

المراد بالشعرى: الشعرى العبور لإضاءتها وقد عبدتها العرب في الجاهلية، قال تعالى: «وإن هو رب الشعرى» يقول إن وجهه أتم نورا وإضاءة من الشعرى والبدر فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعرى حياء منه وخجلا وانخسف البدر وقوله تخر أي تسقط.

[ديوان المتنبى، ج٢، ص ٢٢٩]

(١٥) عودة عازر إلى الحياة:

قال المتنبى:

وكأنها عيسى بن مريم ذكره وكأن عازر شخصه المقبور

يقول ذكره أبدا يحييه كما عاد عازر إلى الحياة وفى البيت إشارة إلى إحدى معجزات عيسى عليه السلام.

[ديوان المتنبى، ج٢، ص ٢٣٤]

(١٦) شيخ النجوم:

قال المتنبى:

زحل على أن الكواكب قومه لو كان منك لكان أكرم معشرا

هنا جعل الكواكب المحيطة بزحل كالقوم له إذ أنه يسمى شيخ النجوم.

[ديوان المتنبى، ج٢، ص ٢٨٠]

(١٧) ملاعب الجن:

قال المتنبى في قصيدته التي يمدح فيها عضد الدولة وولديه ويذكر فيها شعب بؤان:

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

و أول القصيدة:

مغـــانى الـــشعب طيبـــا في المغـــانى بمنزلـــة الربيـــع مـــن الزمـــان

الجنة: الجن

قال الواحدى: جعل شعب بؤان ملاعب وجعل أهل الشعب جنا لـشجاعتهم في الحرب والعرب إذا بالغت في مدح شيء نسبته إلى الجن.

[ديوان المتنبى، ج٤، ص ٣٨٤]

(١٨) الزمازم:

قال المتنبى:

خميس بـشرق الأرض والغـرب وفى أذن الجـوزاء مـن زمـازم

خميس: جيش، والمتنبى هنا يمدح سيف الدولة فيصف زحوف جيشه العظيم.

الجوزاء: نجمان معترضان في جوز السماء أي وسطها وهما مـن الـبروج والزمـازم الأصوات التي تشبه قصف الرعد.

قال الواحدى: وخص الجوزاء بالذكر من سائر البروج لأنها على صورة إنسان.

[ديوان المتنبى، ج ٤، ص ١٠٠]

(١٩) نجوم القذف:

قال المتنبى:

تبارى نجوم القـذف في كـل ليلـة نجـــوم لـــه مـــنهن ورد وأدهـــم

نجوم القذف: هي التي ترمى بهـا الـشياطين، قـال تعـالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا﴾ (الصافات: ٨ – ٩) ونجوم الممدوح هنا خيله. يقول: إن خيلـه تـنقض على الأعداء كالشهب المنقضة في الهواء في السرعة والشدة.

[ديوان المتنبى، ج ٤، ص ٧١]

(٢٠) الثريا:

قال المتنبى:

وقـالوا هـل يبلغـك الثريـا فقلـت نعـم إذا شئت إسـتفالا

إذا شئت إستفالا: إستفالا إنحطاطا أي يبلغ الممدوح منزلة الثريا إذا أردت أن أحط منزلتي أي أن يرفعه فوق الثريا وليس عندها، هذا وسميت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا قيل لغزارة نوئها وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، غير أن شاعرا اسمه العطوى حدد العدد بأنه ستة كواكب في مجموعة الثريا فقال:

خلـيلي إنـى للثريـا لحاسـد وإنـى عـلى ريـب الزمـان لواجـد

أيجمع منهـا شـملها وهـى ستة وأفقـد مـن أحببتـه وهـو واحـد

[ديوان المتنبى، ج ٣، ص ٣٤٥]

(٢١) الشمس:

قال المتنبى:

صـحبتنى عـلى الفـلاة فتـاة عـادة اللـون عنـدها التبـديل

أراد بالفتاة الشمس وجعل الشمس فتاة لأن طلوعها يتجدد فهى بكر كل يوم والشمس من عادتها أن تبدل بضوئها الألوان.

[ديوان المتنبى، ج٣، ص ٢٧٠]

(٢٢) لها جن يعلمها:

قال المتنبى:

لجنيـة أم غـادة رفـع السـجف لوحـشية لا مـا لوحـشية شـنف

السجف: جانب الستارة، الشنف: ما يعلق في أعلى الأذن

و العرب إذا بالغت في مدح شيء جعلته من الجن ومن الشعر أيضا:

جنيـــة أو لهـــا جـــن يعلمهـــا رمـى القلـوب بقـوس مـا لهـا وتـر

[ديوان المتنبى، ج٣، ص ٢٥]

(٢٣) «الغلام وشيطان شعره» من مقامات بـديع الزمـان الهمـذانى «في المقامـة الأسودية»:

المقامة الأسودية في مقامات بديع الزمان الهمـذانى نـسبة إلى (الأسـود بـن قنـان) الذي نزل في بيته (عيسى بن هشام) كما في المقامة.

فى المقامة حديث عيسى بن هشام الذي اتهم بأنه أصاب مالا دونها حق فهـرب إلى أن أتى إلى البادية وهناك وصل إلى خيمة إستظل بها حيث صادف غلاما يلعب في التراب مع رفاقه وهو ينشد الشعر فرد عليه الطفل ذاكرا الجن وإنهم وراء نبوغـه. قـال الغلام:

إنـــى وإن كنـــت صـــغير الـــسن وكـــان في العـــين نبـــو عنـــى

فـــإن شـــيطانى أمـــير الجـــن يـــذهب في الـــشعر كـــل فـــن

حتـــى يـــرد عـــارض التظنـــى فـامض عـلى رسـلك واغـرب عنـى

(٢٤) التوابع والزوابع لابن شهيد:

كتب ابن شهيد رسالة التوابع والزوابـع، والتوابـع والزوابـع هـم مـن الجـن وفى الرسالة يذكر ابن شهيد كيف التقى بحيوانات عالم الجن فهو قد رأى بغلة تتحـاور مـع حمير الجن. سألت البغلة ابن شهيد عما فعل الأحبة بعدها وهل هم على عهدهم بـاقون وكان ابن شهيد قد اكتشف قبل سؤالها الذي طرحته أنها بغلة صاحبه أبي عيسى. كـان سؤالها مدخلة السخرية وأجاب عن حال قرطبة ورجالها: «شب الغلمان وشاخ الفتيان وتنكرت الخلان ومن إخوانك من بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة» ورسالة ابـن شـهيد

تصور الشعراء بأشكال عجيبة فمثلا تصور الشاعر المتنبى شيخا وقورا صاحب قنص يظهر راكبا على فرس بيضاء كأنه على كثيب رمل وبيده قناة قد أسندها إلى عنقه وعلى رأسه عمامة حمراء وقد أرخى له عذبة صفراء.

واستخدم ابن شهيد السخرية في أحايين كثيرة فهو على سبيل المثال اختار لواحد من معاصريه الشعراء أوزة لتكون تابعته (من الجن التوابع) إمعانا في السخرية منه دون ذكر اسمه فهو لا يهتم من الأدب بغير إحسان النحو والغريب ورأيه رأى الأوزة غذاؤه ماء وحشو رأسه هواء. الطبيعة لم تمنحه العقل والطبع فلا سبيل له إليهما والرسالة تصوير لرحلة ابن شهيد إلى عالم الجن بدأها بإعلان رغبته في لقاء التوابع والزوابع أصحاب الشعراء والخطباء من أصدقاء صاحبه الذي سماه (زهير بن نمير) فانصرف عنه تابعه ليأخذ الإذن من شيخ الجن بالذهاب إلى أرض الجن وعندما استصدر الإذن بدأت الرحلة – أو على الأصح الرحلات – داخل أرض الجن حيث امتطى مع صاحبه حصانا سار بهما كالطائر – مستمدا فكرة الحصان الطائر – من المعتقد الشعبى وهذا الحصان الطائر بالطبع إنما هو من عالم الجن يملك قدرات ليست في الجواد الأرضى العادى.

المحتويات

الكاتبة
في سطور

■ ولدت في مجدل عسقلان بفلسطين ١٩٤٧

■ هاجر والدها مع اسرته الى فلسطين اثر اصابته في حرب فلسطين اصابة بالغة وهو يؤدى واجبه الوطنى.

■ حصلت الكاتبة على ليسانس اللغة العربية من جامعة عين شمس عام ١٩٧٠ – كما حصلت على جائزة التفوق الشعرى من الجامعة وحصلت على دبلوم الدراسات الاسلامية..

■ كتبت القصة القصيرة في مجلة «البيت العربى» التي تصدر في الاردن ونشرت العديد من المقالات النقدية في عديد من الصحف منها صحيفة «الشرق الاوسط» الدولية وبدأت حياتها الابداعية بالقصة القصيرة فكتبت «دموع في زجاجة عطر» و«العصافير تموت في اعشاشها».

■ كتبت الرواية فنشرت:

- عيون الياسمين
- خبز المنافى
- غواية الحرب
- لبنان ياوجه القمر

■ وكتبت في مجال النقد الادبى «اضاءات درويشية» و«نزار قبانى شاعر هذا العصر» و«فدوى طوقان شاعرة فلسطين» ولها في مجال التراث الفلسطينى كتاب «اساطير من فلسطين» و«عسقلانيون» و«اناشيد فلسطينية من قبل النكبة الى الانتفاضة» وكتاب «فؤاد عباس فكر وقضية».

■ يغلب على فدوى فؤاد عباس الجانب الروائى حيث تغمس رواياتها في وجدان البشر، ورواياتها مفعمة بالحزن والاسى على وطنها الذي سلبيته الصهيونية؛ وهومايفسر

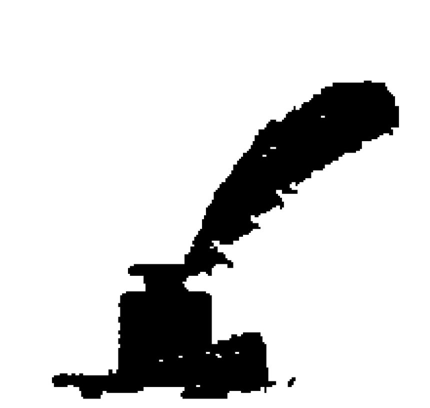
كيف تقبض الروائية على خطاب الانكسار في حياة الانسان الفلسطينى سواء داخل الارض المحتلة او في المنفى..

■ الجدير بالذكر هنا ان الروائية وصلت في كتابتهاعن عذاب الفلسطينى الى ذروة الالم ونظرت بغضب الى استلاب ارضها؛ انها تكره الاحتلال والاستعبادوالاستغلال

■ وكان اكثر مايلفت في كتاباتها انها راحت تحذر-بدأب مستمر- من الاستسلام المهين والصنمية العاجزة..

■ فدوى فؤاد عباس الكاتبة تحمل سمات العزم والامل. العزم في الخلاص من اليأس والامل في الوصول الى المصير المشرق؛ فهى تردد دائما وهو تنظر في عيون من حولها: «اليأس ايها السادة – اليأس اعتلال؛ والذى يصاب بالاعتلال يفقد قوته وهويته»..

■ انها روائية فلسطينية عربية مجيدة..



رقم الإيداع: ٢٢٢٤٧/ ٢٠١٠

الترقيم الدولي: 9-053-462-977-978



فدوى فؤاد عباس

- ولدت في مجدل عسقلان بفلسطين ١٩٤٧
- حصلت على ليسانس اللغة العربية من جامعة عين شمس عام ١٩٧٠، كما حصلت على جائزة التفوق الشعري من الجامعة وحصلت على دبلوم الدراسات الإسلامية ..
- كتبت القصة القصيرة في مجلة «البيت العربي» التي تصدر في الأردن ونشرت العديد من المقالات النقدية في عديد من الصحف منها صحيفة الشرق الأوسط الدولية
- بدأت حياتها الإبداعية بالقصة القصيرة
فى زجاجة عطر
تموت في أعشاشها
- لها في الرواية:
وخبز المنافي وغو
ولبنان يا وجه الد
- كتبت في مجال
اضاءات درويشية ونزار قباني شاعر هذا العصر.



دارة الكرز